منزل السعادة السفلية

منزل السعادة السفلية

مجموعة قصصية

نبهان رمضان

دائما الملك أبيض

صيحات الملك التي دوما ما تصيب من يسمعها بالرعب لأنها علامة لضياع رؤوس حتى تعود سكينة الملك.

هذه المرة صيحات أعلى من أي مرة ربما تدخل البلاد حرب وشيكة ، توافد رجال الدولة و المستشارون على عجل و كان الوزير أولهم بعد السياف الذي لم و لن يتأخر أبدا عن مجالس الملك.

تحولت قاعة الحكم إلى معرض تماثيل بعد عجزهم عن وضع نهاية ترضى غرور الملك و يصمت، حتى الحل الذي يلجئون له دائما لا يجدي نفعا أمام هذه المشكلة المستجدة فالتضحية بأحد الرعاع لن ينهيها.

اضطر الملك أن يستدعى الحكيم المنفى في كهف الجبل على أطراف المدينة لكثرة معارضته و كان حائلا أمام تنفيذ مخططات الفاسدين أعوان الملك و الوزير.

عندما رأى الحكيم الملك بحالته تلك نصف جسده الأيمن أبيض أما الأيسر أسود فلم يجد حلا عرفه في كتب العلم فاقترح أن يلجأ للشعب،لعله يجد سبيلا ينقذه من معيشة الكهف.

وسط استغراب القادة و المستشارون أمر الملك أن يقوم الحراس بجمع الشعب بأكمله بأي وسيلة كانت في ساحة المدينة على الفور و يكون الحديث للحكيم دون الآخرين.

في ساحة المدينة ، وسط حراسة مشددة طلب الحكيم من جموع الشعب بعد خطبة عصماء في حكمة الملك و كم تضحياته من أجل البلاد ، من يريد رد الجميل للملك أن يذهب يمينا و من لا يستطيع أن يذهب يسارا.

تحرك كل الجمع كأنه كتلة واحدة لا تنفصل يمينا دون تردد من أحد خوفا من بطش الحراس.

شعر الحكيم بخيبة أمل و ضياع فرصته في البقاء داخل القصر مرة أخرى.

إلا أن صاح أحد الحراس قائلا: شابا لم يتحرك يمينا أو شمالا.

انفرجت أسارير الحكيم الذي أخذه داخل القصر و عرضه على الطبيب ليفحصه بعد مقاومته للحراس.

صاح الطبيب بهستيريا : أبيض و أسود يا حكيم..

بدأ الشاب يقص حكايته أمام الملك و الحكيم و قادة الدولة، هرب من بلاده البعيدة بعد قتل زوجته التي رآها في موضع خيانة مع عبد أسود.

اقترح الحكيم على الملك أن يجعل هذا الشاب بجواره و يبدأ بتناول الدواء الجديد قبل أن يتناوله الملك حتى يطمئن إلى نتائجه.

أصبح الملك ملازما للحكيم و الشاب ، فزادت علاقته بهما يوما بعد يوم، التي استغلها الحكيم مقترحا بتعيين هذا الشاب وزيرا بجوار الملك لأنه سيكون أكثر وفاءا من الوزير الألعوبان .

عندما اعترض الوزير على ذلك فكان جزائه القتل مثل السابقين فلم يكن في يوم من الأيام أوفى منهم للملك أو أغلى معزة عند الملك.

لم يترك الحكيم فرصة حتى يتخلص من رجال الوزير السابق و يضع رجالا يدينون له بالولاء و كانت التهمة التي لعبوا بها دائما جاهزة و هي خيانة الملك..

تزداد شوكة الحكيم رويدا رويدا حتى أصبح الحاكم الفعلي للبلاد من خلف الوزير الشاب و لا سيما بعد ظهور المرض على وجه الملك ،الذي يتوارى عن الجميع حتى شعر بالعزلة فلم يعد أحد يزوره سوى السياف.

استدعى الملك الحكيم طالبا منه أن يضع حدا لذلك المرض الذي زاد وإلا كان الموت جزاءه.

استخف الحكيم بتهديده و ذكره بقوله في أول يوم ، الحل عند الشعب تاركا له حرية الاختيار بينه و بين الوزير الشاب.

ومن يخسر يتنازل عن اللون الأبيض ،

يكون الملك .....أبيض.

لم يكن أمام الملك شيئا سوى الرضوخ للحكيم.

نشر الحكيم رجاله متخفيين بين الشعب يشيعون حكايات خرف الملك و تعطشه للدماء أكثر من السابق و الأمل الآن في الوزير الشاب و يجب تجمع الشعب خلفه.

عندما تجمع الشعب في الساحة طالبهم الحكيم أن من يريد الملك يذهب يمينا و من يريد الوزير الشاب يذهب يسارا.

ذهب العجزة يمينا، أما الشباب ذهبوا يسارا كان عددهم أكبر ،فكانت لهم الغلبة.

عندما علم الملك أصابه هوس وجنون ،كان مصيره الكهف و معه السياف و

لم يكتفي الحكيم بذلك فوضع عليهم حراسة مشددة من أخلص رجاله.

في قاعة الحكم جلس الشاب على مقعد الملك ،تداعت ذكريات ذلك القائد في صفوف الجيش و كيف غدر به

الملك بعد وشاية الوزير الألعوبان بأنه يزور الحكيم المنفي في الكهف المظلم . أمسك الحكيم رأسه و تمتم ببضع كلمات حتى زال عنه اللون الأسود و أصبح ملكا .....أبيض.

****

المعداوي

قرية صغيرة على شاطئ النيل لا يربطها بالعالم سوى ذلك النهر النجاشي و طريق طويل ليصل بكوبري حديد بالي يبعد عنها عدة كيلو مترات . اضطر أهل هذه القرية إلى ركوب ذلك المركب البالي ليعبر بهم النيل و يسمونه معدية.

أصبحت تلك المعدية هي الشيء الوحيد الذي يربط بين هؤلاء المنسيين بعالم الأحياء . تأتى أهمية ذلك الشخص الذي يقود تلك المعدية ل هؤلاء البشر فهو مانح الحياة لهم . المعداوي الأخرس، الأبكم الذي يعمل دون كلل و لا ملل ليل نهار .لا تظهر على وجهه أي علامات توحي بالرضا أو توحي بالحزن أو الفرح أو الشقاء أو التعب أو الكلل أو التململ، لا شئ يؤثر فيه يعمل بلا مساعد منذ توفى والده العجوز الذي ورث تلك المهنة منه . هناك من يقول أن ذلك المعداوي العجوز ليس والد ذلك الأخرس.تكثر الحكايات عن ذلك المعداوي الصغير

الذي لم يترك المعدية قط حتى الكوخ المنصوب بجوارها لينام فيه نادرا ما تجده داخله. ليس له أقرباء و لا أصحاب في القرية.لكنه أدخل تطورا على تلك المعدية بعد أن كانت تسير بالمجداف الذي يصفع صفحة النهر حتى تسير، أصبحت تسير بمحرك ديزل .أما يوم مولود ذلك المعداوي تكثر فيه الأقاويل لكن الثابت انه يوم غير عادى.

والده كان متزوج من الخرساء التي كانت تجوب شوارع القرية بلا هدف سوى تسول لقمة تسد به جوعها حتى من كان يعطيها نقودا سواء قروش قليلة أو جنيها صحيحا كانت تلقيه في وجهه حتى تزوجها ذلك العجوز الذي لا يترك المعدية أبدا قبل غروب الشمس و في يوم حانت ساعة ولادتها في الكوخ الذي يقطنه ذلك العجوز و لم تستطع أن تصرخ أو تنادى عليه . عندما دخل عليها في المساء و جدها جثة هامدة و بجوارها ذلك الرضيع الأخرس الأبكم الذي لم يبكى لحظة مجيئه للدنيا جاء إلى الدنيا و لم يشعر به احد .ورث الخرس من أمه و المعدية من أبيه

ظل ذلك المعداوي الأخرس يحتفظ بعلبة الصفيح في المعدية يلقى فيها البشر بقروشهم البسيطة نظير ركوبهم المعدية و لم يتشاجر مع أحد قط بسبب قلة المقابل أو عدم الدفع .

شيخ المسجد في القرية كان دوما يصفه أنه إبن أحد الجان غضب عليه ملكهم فطرده إلى عالم الإنس عقابا له، لأن تصرفاته ليست تصرفات بشر لم يره أحد قط يأكل مثل البشر ، لم يره أحد يشرب ، لم يره أحد يتبول مثل البشر أو يسيل لعابه لامرأة حسناء أو لعوب، لا شئ يفعله سوى قيادة المعدية.

أطراف الليل ، عندما تقل أعداد البشر الذين يعودون إلى القرية ، كان يجلس في الكوخ عينه معلقة على الشط الآخر ربما عاد شخص متأخر يشير له فيهرع في تلبية إشارته فأضاف شيخ المسجد إلى تصرفات المعداوي الغريبة أنه لا ينام مطلقا ،لم تكن تلك من صفات البشر.

في الصباح الباكر لأحد الأيام تجمع أهل القرية عند المعدية و لم يجدوا أثرا للمعداوي و المعدية كانت تقف في منتصف النهر بين الشطين ، بحثوا عنه في الكوخ لم يجدوه و لا أثر لشئ غريب على الإطلاق سوى اختفائه المفاجأ الذي كان كالفاجعة التي تعطل أعمال أهل القرية من موظفين سيتأخرون عن عملهم أو طلاب سيحرمون من العمل في هذا اليوم على الأقل و المصالح الأخرى لهؤلاء البشر انقطعت صلتهم بالحياة .

منهم من اضطر لركوب تلك السيارات البغيضة التي تسير بيهم عدة كيلومترات لتعبر ذلك الكوبري الصفيح البالي و بالطبع زادت الأعباء المالية اليومية .

أمر عمدة القرية أحد خفرائه أن يعوم في النيل ليحضر المعدية للشط و يشغلها نظير نصف العائد منها كل يوم و لم يعير اختفاء المعداوي الأخرس أي اهتماما ، لم يكلف نفسه إبلاغ السلطات بالبحث عن جثته في قاع النيل، ليس له أهل يبحثون عنه .

عادت الحياة للقرية بعودة المعدية لكنها بدون الأخرس. تندر أهل القرية بحكاية اختفائه عدة أيام و كثرة حواديت النداهة و عروس النيل التي أعجبت به لا سيما أنه مفتول العضلات و عيونه زرقاء التي لا تتناسب مع بشرته السمراء.

ومازال شيخ المسجد يصر على رأيه أنه أحد نفر الجان المغضوب عليه و قضى فترة العقوبة و عاد إلى عالمه السفلى مرة أخرى، كما جاء الدنيا بلا صخب رحل أيضا بلا ولولة نساء أو لطم خدود حتى لو مجاملة كما يفعلن عندما يرحل أحد أقربائهن .مع الأيام تلاشى الاهتمام باختفائه و نسى الناس وسط خضم الحياة ذلك المعداوي .

لاحظ أهل القرية أن هناك فتاة تقف على شط النيل من جانب القرية منذ الصباح حتى غروب الشمس كل يوم و لا تتحدث مع أحد بعد اختفاء الأخرس. لم يستطع أحد ينسج حكاية حولها من حكايات النميمة و الخوض في الأعراض لأن والدها شيخ المسجد كما أن المعداوي الأخرس لم يهتم في يوم بأي بشر في الحياة فهم لا يمثلون له سوى نفر يركبون المعدية ذهابا و مجيئا . ظلت هذه

الفتاة على حالتها عدة أيام حتى أصبحت الوليمة الأساسية لمجالس النميمة السرية في القرية لكن لم يخطر ببالهم شيئا سوى أنها ربما مسها جان أو عمل سفلي.
كان شيخ المسجد يقوم بعمل مقرئه في بيته كل مساء يوم اثنين و تجلس ابنته في منتصفها منعها بالقوة من الخروج من البيت حتى لا تقف على الشط دون جدوى كانت تهرب و تقف على الشط كأنها تنتظر شخصا لا يأتي أبدا.

مرت الأيام ربما مرت سنة بالتمام و الكمال، اضطر والدها أن يصطحبها لزيارة طبيب نفسي كما نصحه عقلاء القرية و كان يرفض خشية أن يشاع في القرية أنها جنت .

كلما وضعت الفتاة قدمها في المعدية تركتها عائده إلى الشط يهرول خلفها والدها الشيخ و يعيدها . هكذا عدة مرات اضطر أن يكتفها و يجلسها في المعدية و جسدها ينتفض. عندما وصلت المعدية إلى نقطة المنتصف ارتعد جسد الفتاة بقوة لم يستطع الشيخ السيطرة عليها و لا حتى بمساعدة عدة أشخاص كانوا يركبون المعدية معهما.

انقلبت المعدية و غرق كل من فيها. كان يوم حزين على تلك القرية المنعزلة. أخرج غطاسين الإنقاذ كل جثث الذين غرقوا ما عدا جثة الفتاة بحثوا عنها عدة أيام دون جدوى ، ربما جرفها التيار.مشهد جنازة الغرقى كان مهيبا أكبر عدد يموت في تاريخ القرية في يوم واحد .اقترح العمدة جمع تبرعات من أهل القرية و تقديم طلب إلى المحافظ لبناء كوبري أمام القرية حتى يستطيعوا الاستغناء عن المعدية تماما بعد هذا الحادث الأليم.
بالفعل وافق المحافظ على بناء الكوبري و شرع في تنفيذه على الفور. في كل عام يحدث حادث أليم في منتصف الكوبري في نفس يوم اختفاء المعداوي

****

الحد الأدنى

دكان سلامة الفقير في مدخل حارة تعاني من شظف العيش، أهلها لا يشترون إلا القليل. الآباء يضطرون لشراء حلوى الأطفال لإدخال نوع من السرور ليقطعوا خيوط البؤس من وجوههم.امتلأت رفوف الدكان بأنواع الحلوى التي يأكلونها الأطفال أثناء ممارسة ألعاب تستهلك مجهودهم و أوقاتهم حتى يأتي الليل فيخلدون للراحة، لكن ربحها لا يكفي تحقيق العهد الذي قطعه على نفسه أمام زوجته باستعادة ذلك العقد الذهبي الذي ساهمت بقيمة رهنه في رأس مال الدكان.

وضع لنفسه حدا أدنى لمبيعاته كل يوم لا يغلق الدكان دون الوصول إليه وهو خمسين جنيها.

هذه الليلة ممطرة وعاصفة والجو بارد فلم يخرج أطفال الحارة كعادتهم يلعبون و يمرحون ومن الحلوى يأكلون.

لم يتحقق الحد الأدنى بعد، حتى يغلق الدكان و يعود إلى بيته يهنأ بدفء وسط أولاده هكذا تتوارد عليه الأفكار من حين لآخر لكنها تفر سريعا عندما يتذكر صياح زوجته و الشجار الذي يوقظ خلق الله الذين يغطون في دفء عظيم ولن تصمت إلا برؤية الخمسين جنيها و كلماتها اللاسعة ستضيع الدفء و كل شئ.

ظل ينظر لبيوت الحارة و يعد زبائنه واحدا واحدا ، الأستاذ زكى ينفق كل ما في جيبه من أجل أولاده عاد في الخامسة مساءا ، عم حسن لم يخرج من بيته الليلة، أما الأسطى متولي البخيل لا يشترى أبدا حلوى لأطفاله إلا مضطرا أمام إلحاح أطفاله و بكاءهم الذي لن ينقطع إلا عندما تلمس أناملهم الحلوى عادتا لا يثق أولاده في وعوده المؤجلة دائما. لمعت عينه عندما تذكر أنصاف أخذ يردد اسمها عدة مرات كأنه وجد الحل السحري الذي ينقذه من صيحات وطلاقات الكلمات التي تخرج من فم زوجته. أنصاف الممرضة التي تعمل ليلا لتنال راتب أكبر ليعينها في نفقات البيت و لا سيما بعد أن لزم زوجها

الفراش بعد مرضه منذ عدة أعوام ،بعد عودتها متأخرة تشترى الحلوى لأطفالها لتعوضهم غيابها طول الليل.

لكنها تأخرت الليلة أكثر من أي ليلة أخرى ربما تشترى أكثر من أي ليلة أخرى .

البرد يزداد و أطراف سلامة تجمدت لكنه يتحمله و لا يتحمل تلميحات زوجته و نظراتها التي تسحق رجولته أمام أولاده دون أن يغمض لها جفن أو تخجل من أهانته و الأولاد يبحلقون في مشهده كأن ذاكرتهم تسجل للأيام .

أخذ يبث الأمل في نفسه حتى يجعلها تتحمل البرد و الصقيع الذي هبط على صدر الليل بكثافته حتى كاد يتجمد الدم في العروق مرددا(إنصاف تأخرت إذا عادت ووجدت الدكان مغلق ستدخل بيتها دون حلوى لأطفالها سيغضبون و تصب ضيقها عليهم وتضربهم ، لعل في انتظاره لها يساعدها).قطع صخب زخات المطر،صوت سيارة يقترب و تهبط منها إنصاف على مشارف الحارة وتسير مترنحة بثياب لم تعتاد أن ترتديها ، تظهر أكتافها البيضاء و صدرها المرمري الذي كان يختبأ أسفل ملابسها

الرثة التي ينفر منها الرجال فلا تعيهم في شئ و لا يعطون جسدها قيمته و لا يقدرون مكانته في سلم جمال نساء الحارة.

حتى تجاوزت دكان سلامة دون أن تعيره أي اهتمام كأنه سراب. اتسعت عين سلامة دهشة من ظهرها العاري و الحسرة لأنها لم تقوم بزيارتها المعتادة .زلت قدمها في أحد حفر الحارة التي امتلأت بمياه المطر كادت أن تتهاوى تمالكت نفسها و أكملت سيرها و عيون سلامة تتعلق بها و أمله يتلاشى من أمام عينه رويدا رويدا مع خطواتها المترنحة.

وقفت فجأة قبل أن تبتلعها الحارة كأنها تذكرت شيئا، استدارت برأسها فوجدت سلامة يقف أمام دكانه و المطر ينهمر و يغرقه، أخرجت ورقة مالية و رمتها على الأرض ثم غاصت في الحارة

جرى سلامة إلتقط ورقة الخمسين جنيها .

كاندى كراش

من آن لآخر ينشغل شباب هذه البلد بلعبة ما تجد أشخاص كثيرة تلعبها . لكن هذه الأيام أصبحت الألعاب الإليكترونية لا سيما بعد التطور الذي طرأ على أجهزة المحمول و أصبحت تحوى كل أنواع الاتصال لم يعد الاتصال الهاتفي هو الأساس.

أما لعبة هذه الأيام و هذا العصر هي لعبة الكاندى كراش . عندما تجد تجمعا الآن في مصر تجد كل البشر أو على الأقل تسعون في المائة يلعبون كاندى كراش .

انزوت جميلة مع جهازها المحمول ،الذي أصبح صديقها اللدود ، في أحد أركان النادي الإجتماعى الذي لم يعد نادى إجتماعى بل أصبح نادى الكاندى كراش ،تتابع بوستات الفيس بوك الطريفة بعد لعب كاندى كراش كثيرا فأرادت هدنة حتى تعود متألقة.لاحظت أن أصدقائها على الفيس تعدوا الألف بقليل لكن في الواقع لم تجد منهم أحد في حياتها، منهن من تزوجت و سافرت

مع زوجها أو منهن من انشغلت بحياتها بعد الزواج ، أما هي لم تتزوج بعد.

جاءت لها إشارة استقبال رسالة عبر البلوتوث همت برفضها كالعادة ، تكون رسالة سخيفة من شاب سخيف ،لكن هذه المرة حدثتها نفسها أن تنتظر و تعرف فحوى الرسالة فلن يضرها ذلك بشئ.

بعد صراع لم يطل كثيرا بينها و بين نفسها ، قبلت استقبال رسالة البلوتوث التي كانت مختلفة عن الرسائل السخيفة.

لكنها أصابتها بانزعاج كبير بعد أن قرأتها هبت واقفه تبحث بعينها عن مرسلها لم تجد أحد عينه معلقه عليها و لم تلاحظ ان أحدا يتابع رد فعلها عن الرسالة المزعجة. أعادت إلى جهازها المحمول و عادت لقراءة الرسالة من جديد التي تقول :أبنائي الأعزاء اسألوا عن أبيكم فهو يخشى التعفن قبل الدفن .

الرسالة مصحوبة برقم هاتف موبايل .

في المساء دخلت جميلة مخدعها لتنام و كعادتها قبل النوم تمر على الأصدقاء الافتراضيين و ترى آخر موضوعاتهم .

عرجت على الرسالة المزعجة مرة أخرى و أخذت تقرأها مرات و مرات وتجد بين حروفها نوع من المصداقية تبعد عن الألاعيب السخيفة لشباب مهترء. دفعها الفضول للبحث في برامج من المتصل و ما شبه ذلك عن الرقم المقترن بالرسالة.

ظهرت النتيجة سريعا بعد لحظات لصورة رجل كهل في السبعين من عمره و مسجل باسم الأب كاندى كإحدى صفحات الفيس بوك .

عادت إلى عفريت المصباح في هذا العصر الحديث المسمى فيس بوك و أدخلت اسم الأب كاندى و تفحصت بيناته وجدت هذه الصفحة لكهل من القاهرة بالفعل.اندهشت لأن رسالة البلوتوث مرسله من المدينة الصغيرة التي تعيش فيها مع أمها بمفردهما. أعادت فحص صفحة هذا الكهل لم تجد شيئا سوى مناشدته لأبنائه و صورته.

غفت عيونها و تتابع صفحات الفيس بوك حتى الصباح. صحت من نومها و هي عقدت العزم أن تذهب إلى النادي الإجتماعى ربما وجدت ذلك الكهل هناك. قبيل موعد رسالة الأمس طلبت من أمها أن تسمح لها بالذهاب إلى النادي لتستنشق هواء نقيا طبيعيا و ليس صناعيا مثل المنبعث من جهاز التكييف.

ذكرتها أمها أنهن مدعوان على حفل زفاف في المساء و تريدها أن تكون في أوج زينتها و جمالها و أن ترتدي أفخر و أغلى ثيابها .

عاد الإثنان إلى نقاش المحتد عندما تكون هناك مناسبة زواج أو خطوبة . بين عدم اقتناع جميلة بفكرة اصطياد عريس في حفل عرس و إصرار الأم على هذه الفكرة التي نجحت مع كثير من بنات هذه الأيام خصوصا المنعزلات و المنطويات مثل جميلة أبنتها لكن في النهاية دائما الأم تنتصر، رضخت جميلة لرغبة أمها و استعدت كما أرادت لهذا الحفل .جلستا في الحفل متجاوران متلازمتان مثلما هما في الحياة لكن الأم عندما تلمح إحدى صديقاتها أو زميلة لها في العمل تهرع مرحبة بها و تصحبها حيث

تجلس جميلة و هي مبتسمة و تقدمها لها و بكل فخر الذي يملأ الصدر جميلة إبنتى الوحيدة. في منتصف الحفل يعود النقاش الثاني الروتيني المحتد بين الإثنان جميلة تريد الانصراف و الأم تريد أن تمكث لنهاية الحفل.لكن هذا النقاش عادتا تكون الغلبة فيه لجميلة تنصرف الأم معها متبرمة و متذمرة من أبنتها التي تنعتها بالخابية .

تعود جميلة إلى مخدعها و ذلك عفريت المصباح (الفيس بوك) تجد المفاجأة الأب كاندى يرسل لها موافقة على طلب صداقة و هي لم تتذكر أنها أرسلت له هذا الطلب ربما حدث و هي بين اليقظة و النوم بالأمس .

عدة أيام تذهب إلى النادي الإجتماعى تبحث في وجوه كل من تقابلهم في سن السبعين. و لا تجد أحد بنفس ملامح الأب كاندى.و تتابع صفحات الفيس بوك كعادتها قبل النوم و تمنع نفسها من إرسال رسالة للأب كاندى كل ليلة تراودها الفكرة لكنها تتلاشى بصعوبة بالغة .

إحدى الليالي وجدت رسالة ترحيب من الأب كاندى، تشجعت للرد عليها ، تصادف أنه أون لاين في نفس اللحظة فدخلا الإثنان في محادثة مباشرة على الفور .

-------: أنا جميلة من المنصورة.

----------: المنصورة مدينة جميلة كنت عندكم من أسبوع .

----------: حضرتك ليك قرايب في المنصورة؟

----------: لي أصدقاء و بنت ماعرفش عنها حاجة.

اندهشت جميلة من جملته الصريحة و إنتهازتها فرصه لسؤال عن الرسالة المزعجة .

----------: حضرتك بعت رسالة ب البلوتوث وصلتني .

----------: حقيقي الطريقة دي بتوصل ل شئ.

----------: مش فاهمه حضرتك .

-------: انا دورت على بنتي كتير ما أقدرتش أوصل ليها واحد صحبي مهندس نصحني برسايل البلوتوث و الفيس بوك

كنت و أنا في المنصورة لما أروح أي منطقه فيها تجمع بشرى ملاهي ، حدايق عامه ، نوادي ، محطة قطر ، محطة أتوبيس، موقف سرفيس أفتح البلوتوث و أبعت لكل الناس اللي فاتحه البلوتوث.

----------:فعلا جاءتني الرسالة دي و أنا في النادي .

----------:كويس إنت أول وحدة تستجيب لمشكلتي . فيه ناس ردوا عليا ردود سخيفة بس انا مضطر أتحملها .

توالى الحديث بينهم عدة أيام يتحدثون في مشكلة الرجل و كانت جميلة تتجاوب معه من باب الشفقة.

ذات ليلة سألها الأب كاندى عن اسمها كاملا .

---------: جميلة محسن عبد الستار .

--------:ولدتك اسمها إيه ؟

---------: ثريا.....

_____: ثريا إيه ؟

---------: ثريا محسن عبد الستار .

---------: غريبة اسم والدك شبه اسم جدك جدا .

---------: تصدق أنا لم أخد بالى من النقطة دي خالص .

---------: بتشوفي حد من قرايب والدك .

----------: خالص محدش منهم بيزورنا و لا نعرف حاجة عنهم.

---------: ممكن أطلب منك طلب .

---------:اتفضل .

----------: إسألى والدتك عن واحد اسمه أحمد عبد الرؤوف.

----------: مين ده ؟

--------: بس اسأليها، لم تعرفه خليها تحكى لك حكايته .

انقطع إرسال الشبكة العنكبوتية من طرفه بعدها و لم تستطع أن تعرف منه المزيد .

لم تستطع جميلة النوم في هذه الليلة بعد المحادثة القصيرة التي دارت بينها و بين الأب كاندى لكنه شتت عقلها و نفسها في آن واحد .

ظلت تارة تداعب أزرار المحمول في لعبة كاندى كراش و تارة التصفح الفيس بوك تنتظر صحيان أمها بفارغ الصبر فلا تريد ان توقظها ربما الحكاية لا تساوى كل هذا القلق .

مع طباشير الصباح شعرت جميلة بحركة أمها في البيت. ذهبت إليها وجدتها في الحمام انتظرتها على باب الحمام ، استبد بها الشغف و القلق لدرجة لم تعد تستطيع الانتظار أكثر من ذلك .

فتحت أمها باب الحمام فوجدت جميلة أمامها أصابها فزع لأنها لم تتوقع وجودها في هذا المكان ولا في هذه الساعة المبكرة تكون مستيقظة أساسا .

أكملت الأم سيرها إلى حجرتها لتستعد لذهاب إلى عملها دون أن تبالي بوجود ابنتها ربما اعتقدت أنها الحاجة الملحة للحمام أيقظتها في هذه الساعة .لكن جميلة باغتتها بسؤالها عن أحمد عبد الرؤوف . تسمرت الأم من المفاجأة لم تكن تتوقع أن ابنتها تسأل عن هذا الشخص و ظلت صامته عدة دقائق و جميلة تنظر في عينها و تلاحقها بنظرات ريبة وشغف.

بينما الأم تهرب بعينها من نظرات ابنتها و لم يسعفها قاموس لغتها ، أن تجد به كلمات تجيب على سؤال ابنتها المباغت.نطقت جميلة بعد صمت الأم لدقائق مرت كدهر : تبقى تعرفيه صح صح

ردت الأم باقتضاب و بدى على وجهها الأسى : أيوه أعرفه.

صمت الإثنان بعدها. الأم تنتظر السؤال التالي من ابنتها لتجيب عليه ربما تجدها فرصة لتبحث عن كلمات منصفه لها . أما جميلة تنتظر مزيد من التفسير من الأم و لا تريد أن تنهمر عليها بالأسئلة ربما وضعت الأم في موقف سخيف و ربما موقف مهين تربأ به أن ترى أمها فيه ، مازالت تشفق عليها.طال الصمت بينهم و هما واقفان أمام الحمام و بجوار باب حجرة الأم و لم يقطعه سوى صوت رسالة فيس بوكية.

اعتقدت جميلة أنها من الأب كاندى فهرعت على المحمول الموضوع بجوار سريرها، قرأت الرسالة المرسلة بالفعل من الأب كاندى تقول (حانت اللحظة التي كنت أخاف منها هاتى والدتك و تعالى بسرعة هي عارفه المكان.)

أبلغت أمها بالرسالة أسرعا الإثنان على الفور دون أن ينطقا بكلمة واحدة طول الطريق و لم تنظر إحداهن للأخرى جميلة تتبع أمها التي من الواضح أنها تعرف العنوان جيدا . صعدا إحدى العمارات لأحد الأحياء القديمة في القاهرة و ضربا جرس الشقة كثيرا لم يفتح أحد ضربا الباب بكل قوتهما و لم يفتح أحد اضطر

البواب كسر الشقة وجدا الأب كاندى جسده ممدد في صالة الشقة فاقد الحياة و أوراق كثيرة متناثرة حوله التقطت بعضها جميلة و أمها، منها شهادة ميلاد جميلة أحمد عبد الرؤوف و وثيقة زواج عرفي بين أحمد عبد الرؤوف و ثريا محسن عبد الستار و قصاصة ورق مدون فيها رقمان هاتف لابنيه في
هولندا.

نظرت الأم لابنتها و عيونهما مغرقتان في الدموع .

*****

ضحكات طفولية

كل ليلة لا تغفو عين حاكم البلاد إلا بعد أن يتأكد من إحكام الحراسة حوله حتى بصيص الضوء لا يسمح له باختراق زجاج النافذة دون إذن منه.

هب من نومه فزعا على فأر يقرض قدمه،صب جم غضبه على الحراس و حصد رأس المقصر الذي تهاون لدرجة أن هذا الفأر تجرأ و خرج من جحره و اقتحم مخدعه في غفلة هذا الحارس.

عاد الحاكم إلى هدوئه و راح في سبات عميق بعد أن استتب الأمن في أرجاء القصر.

داهمه ذلك الكابوس الذي ينغص عليه حياته ويطير النوم من عينه كل ليلة دون انقطاع منذ أمد.

حكى الحاكم لأحد مستشاريه أنه في هذا الكابوس :

يجلس بين الجواري الحسناوات يداعبهن و يداعبوه في بحيرة حديقة القصر وسط حراسة مشدده كعادته دائما

و يواصل استمتاعه بلمسات الحسناوات التي لا تترك جزءا من جسده دون أن يتحسسنه بلطف و دلع و ميوعة.

فجأة شعر بنغزات قوية غير ملائمة ، أخرجته عن استمتاعه و استفزت غضبه ،نظر لمن يعامله بهذه الطريقة،وجد طفلا ممسكا سكينا حادا ينغزه بها، فزع ، نهض مبتعدا، لكن الطفل يطارده أينما ذهب وضحكاته العفوية تتعالى، صاح بالحراس مطالبا إنقاذه دون جدوى.

الطفل يتسلق أجساد الحراس و يمر بسرعة بين أرجلهم و يفر منهم باستخدام حركات الأطفال العفوية

و تتعالى ضحكات الطفل أكثر و أكثر.

انزوى الحاكم في أحد جنبات السور المحيط بالحديقة و الطفل يشهر السكين وجها لوجه دون حائل بينهم .

يهب من نومه بعد هذا المشهد كل ليلة.

اقترح عليه هذا المستشار أن يقترب أكثر من الأطفال ويحنو عليهم ولا سيما أن حياته تخلو منهم و يكثر من زياراته في مدارسهم و دور الرعاية .

في أحد زياراته لدور الرعاية في موكب مهيب ، كان يداعب الأطفال وهو يذهب و يجئ بينهم مصطنعا حبا مزيفا ،حتى

لمحت عينه أحدهم و هو يبتسم ، دقق النظر أكثر، زادت سرعة ضربات قلبه فزعا إنه يشبه طفل الكابوس الذي يداهمه كل ليلة لم يستطع مقاومة نظرات و ضحكات ذلك الطفل أخذ يهرول و يجرى و الحراس يهرولون خلفه في مشهد مثير.

*****

أسرة الرجال

رن جرس المحمول ، لكن مرسى محشور بين ركاب القطار المتجه إلى مسقط رأسه .دس يده في جيبه ليحضر المحمول بسرعة ،ارتطمت يده بقوة في وجه الشخص الذي يقف بجواره، اعتذر له و هو يضغط أزرار المحمول .....

رد قائلا .:أنا في القطار يا عبد الجواد.

ما تقلقشى أنا جاي ما تعملشى حاجة

حاضر مش ها تأخر عليك.

بعدها سمع صوت جرس المحمول المتقطع معلنا انقطاع الاتصال.

دس المحمول في جيبه حانقا تظهر علية علامات الغضب و الضيق اللذان تختلطان مع الدهشة و الاستغراب.

كيف لأخوة عبد الجواد يغلق الاتصال دون أن يودعه بأي كلمة مثل مستنيك ....!!!

أو ما تتأخرشى .....كما أن صوته متحشرج كأنه يبكى ، وهذا ليس من المنطق في شئ، عبد الجواد ليس من الصنف الذي يبكى أبدا.

دخل القطار إحدى محطاته هبط من هبط و صعد من صعد في صخب و اختلاط الأصوات. لمحت عينه مقعدا خلى من راكبه هرول إليه راميا جسده عليه بقوة تعكس إرهاقه.

أخذ يهذى ببعض كلمات ولم يلحظ أن صوته مسموعا حتى سأله من يجلس بجواره

حضرتك بتقول حاجة ؟

رد قائلا: لا أبدا.....آسف .

اعتدل في جلسته مع بداية تحرك القطار من جديد ،مع انتظام صوت و سرعة القطار ،عاد إلى هذيانه مرة أخرى لكن هذه المرة زاد عليها حركات يده العفوية و هو يضرب كفا بكف.

كل هذا زاد من فضول ذلك الشخص الذي يجلس بجواره الذي بادره قائلا :

اسمح لي يا استاذ .

---:اتفضل تحت أمرك

---:باين عليك شايل هم كبير، ممكن نفضفض و إن لم أجد لك حلا. يكفى انك أزحت الهم قليلا.....

---:ليه لأ ،خصوصا إن الطريق طويل أحكى لك من الأول علشان تعرف حجم المشكلة و ضخامتها.

---:اتفضل خد راحتك.

عبد الجواد أخويا الكبير و ماليش غيره في الدنيا خصوصا بعد وفاة أبويا و أمي و عمره ما بخل عليا نشئ لا أموال و لا حنية ولا خوف عليا.

لكن عيبه الوحيد إنه حاكم بيته، أوضح لك أكتر،إللي عايز يخرج من أولاده بميعاد و يرجع بميعاد تقدر تظبط باب البيت على الساعة تسعة مساءا يغلق الباب و لا

ينفتح إلا في الصبح و اللي يتأخر من أولاده يفضل برة البيت لحد ميعاد خروجه لشغله.

ربنا رزقه ب ست و لا كل الستات طيبة عمرها ما علت صوتها علية و لا طلبت منه طلب زي باقي الستات و لا تحس بيها في البيت.

عبد الجواد يشترى الخضار و كل لوازم البيت ، الست هنية تفضل بالشهور في البيت ما تخرجشى منه طالما ما فيش سبب شديد يخليها تخرج.

قاطعه الراكب : أكيد هي دي المشكلة.

---:جاي لك في الكلام، أولاده و مراته إتعودوا على العيشة دي و كل واحد فيهم يقوم بدوره تمام و كل واحد فيهم عارف حدوده اللي ما يقدرشى يعديها أبدا خصوصا إن عبد الجواد زى ما قلت لك حنين قوى عليهم إنت عارف حضرتك لما حد فيهم يتعب أو يمرض شوية يفضل سهران جنبه ممكن تلاقى دمعة خفيفة في عينيه بيداريها عنهم ، لمحتها مرة أيام ما كنت عايش معاه قبل ما هو يتجوز و كنت لسه طالب و جت لي وعكة رقدتني

يوميين كان يسهر جنبي لمحت عينيه ترقرق لكنه لما حس إني ممكن أشوفه مسحها بسرعة.في النهاية النظام نظام لا يمكن يتنازل عن نظام حياته أبدا.

نظر الراكب باهتمام و شغف قائلا : إيه المشكلة طيب ؟

و طالبه أن يستمر في السرد دون توقف ربما لازدياد الفضول لدية.

نظر مرسى حوله ليستجمع قواه قبل ان يكمل حديثه، اندهش لما رأى تجمع معظم من بعربة القطار ينصتون لحديثه حتى كمساري القطار وقف يسمع تلك القصة التي أثارت فضول الجميع.

طالبه الجميع ان يكمل و لا يهتم بوجودهم .

بدأ اعتراض الأبناء يظهر مع بلوغهم سن الشباب، كانت البداية مع الابن الكبير الذي أراد ان يلتحق بكلية الفنون الجميلة.

حتى ينمى موهبة الرسم التي أعطاها الله له لكن عبد الجواد رفض و أصر أن يلتحق بالدراسة في كلية الطب.

الولد ما قدرشى يظهر اعتراض أو مجرد امتعاض .

كذلك الابن الثاني الذي لم يعترض من الأساس لما شاف إلي حصل لأخوة الكبير لكن عبد الجواد اختار له كلية الهندسة . لما كبروا الاتنين و كل واحد فيهم اشتغل في مراكز مرموقة مهندس و دكتور كل واحد فيهم يسلم أبوه الماهية و كل دخل بيتحصلوا عليه لحد ما جه الوقت المناسب لزواجهما بالطبع هو اللي اختار زوجة كل واحد فيهم رغم أن المهندس كان نفسه يتجوز بنت جار ليهم لكن عبد الجواد كان له رأى تاني.

في الحقيقة اختار زوجتين و لا نعم ناس كمل، مال و جمال لكن النظام فضل زى ما هو الولدين يسلموه الماهية و كل دخلهم و عبد الجواد يجيب كل شئ حتى لبس الزوجتين حتى بعد ما أنجبا كان عادل بينهم جميعا و لم يبخل على حد منهم قبل ما يطلب تكون احتياجاته عنده.

صمت قليلا يلتقط أنفاسه، مع دخول القطار محطة جديدة ، يهبط بعض الركاب دون أن يستمعوا باقي الحكاية

تظهر عليهم علامات الاستياء لكن جميع من سمع الحكاية أطلقوا على عبد الجواد لقب (سي السيد)

عندما يصعد أحد الركاب في إحدى محطات القطار و ما ان تصل لمسامعه أطراف الحكاية ينجذب إليها و ينضم رويدا رويدا مع الملتفين حول مرسى و هو يسرد باقي القصة و مازال الراكب الذي يجلس بجواره يسمع بإنصات.

مع دخول فردان جديدتان للعيلة بدأت مناوشات تحصل لما واحدة من زوجات أولاده اتأخرت عند أبوها بعد الساعة تسعة و لم يفتح عبد الجواد الباب و فضل ابنه محتار بين مراته و أبوه و كلمني في التليفون بعد محاولات مضنية معاه أصر إن الباب مش هايتفتح بعد تسعة يعنى مش ها يتفتح .

عادت لأهلها لحد الصبح و رجعت تاني يوم في الصباح لبيت عبد الجواد.

رحت البلد له في اليوم التالي و فضلت اقنع فيه إنه ربى رجال و ما ينفعشى يقل من ابنه قدام مراته و أهلها.

بعد مفاوضات زى مفاوضات إسرائيل و فلسطين إقتنع إنه يغير الوقت و يمدها ساعة خلاها عشرة بدل تسعة و كان ده أول تنازل أو تكسير للنظام في حياته.

استمرت الحياة في بيت عبد الجواد لا تخلو من المناوشات شيئا فشيئا حتى اعتادتا الزوجتان على أسلوب حياته و رضخن للأمر الواقع.

في وسط هذه المناوشات ترعرع الابن التالت دون أن يشعر به أحد سوى مع أول حالة عصيان كبرى في بيت عبد الجواد الولد عايز يدخل قسم أدبي في الثانوية العامة و أبوة مش موافق مع إصرار عبد الجواد إنصاع الابن ظاهريا و التحق بالقسم الأدبي دون علم عبد الجواد .

عندما أعلنت نتيجة الثانوية العامة و اكتشف عبد الجواد الحقيقة . كانت العاصفة التي اجتاحت كل من بالبيت و طالت الجميع بما فيهم الست هنية وطرد الجميع من البيت حتى زوجتا أبنائه الكبار لأنهن تجرأن و دافعن عن الولد، كأن إعلان الولد العصيان أصبح الأمل يتشبث به كل من بالبيت للخلاص من هذا الجبروت.

لكن هبت طوفان عبد الجواد مازالت الأقوى سيطرت على كل شئ ، استغاث أبنائه كعادتهم بى ،بالطبع تركت أولادي و أعمالي و كل شئ و رحت ليهم البلد ، أولادي .....اه من أولادي الذين ألسعتني ألسنتهم الساخرة

أطلقوا عبارتهم المعتادة (الحق سي السيد بتاعك).

بصراحة كان موقف لا يحسد علية الست هنية جلست أمام باب البيت الخارجي و معها ولداها الدكتور و المهندس أما زوجتهما ذهبن إلى أهلهن لحد ما المشكلة تخلص، الولدان في حيرة بين عبد الجواد و أمهم، تارة يدخلا البيت يترجونه لكنه يتعنت و لا يسمح لها بالدخول، تارة يجلسا مع أمهم فلا يريدا أن يتركوها هكذا وحيدة.

الولد الصغير اللي فرقع البلونة فص ملح و داب لم يستطع أن يواجه طوفان غضب أبوه.

في النهاية رضخ الجميع لما يريده عبد الجواد ،أعاد الولد دراسة الثانوية العامة في القسم العلمي مرة أخرى

لكن المناوشات بينهما استمرت بلا جدوى.

أتى الزمان بأفعال ليس لنا نحن البشر خيارات فيها ، كانت وفاة الست هنية ضربة قاسمة ل عبد الجواد الذي عاش وفيا لها ، وهنت صحته و ذبل جسده . منذ ذلك الحين ضعفت سيطرته على البيت ،أوكل أبنائه خاصة الكبير ببعض المهام التي لم يعد يستطيع قضائها لكن مازال الرأي رأيه.

أنهى الولد الصغير دراسته في كلية الطب كما أراد و خطط له عبد الجواد، عندما اختار له العروس كما فعل مع أخويه الكبار.

أصر الولد على رفض طريقة أبوه إصرارا رهيبا ، مع تعنت الأب الذي أصابته الشيخوخة و زادته تعنتا على تعنته.

تطور الأمر بينهم ، عندما تجاوز الولد و نغز أبوة بشدة لم يتحملها جسده المتهالك وقع على الأرض ،هرع كل من بالبيت ليساعدوه على النهوض . هلع الولد من مشهد أبوه فر هاربا كعادته عندما يرى طوفان الغضب في عين والده.هاتفني عبد الجواد مهددا الولد بالقتل إن لم ينصاع لرأيه .الأمر لم يعد مسألة إن رأيه صواب أو خطأ ،يريد

عبد الجواد يثبت لنفسه أنه مازال له كلمة في بيته و لم يضعف أو يهن بعد.

كل من بالمنزل عقولهم و أمانيهم مع الولد الصغير حتى تنتهي أسطورة سي السيد للأبد لكن قلوبهم تشفق على الأب الذي بذل الغالي و النفيس من أجلهم.

ابتلع مرسى ريقه و صمت و جال بنظره حوله عله يجد النصيحة من ركاب القطار لكنهم أيضا اختلفوا فيما بينهم ، بعضهم مؤيد للولد لأن من حقه أن يعبر عن رأيه و البعض الآخر يشفق على الأب و يحنو عليه.

ظل الجدل في القطار بين الرأيين حتى وصل إلى محطته الأخيرة و كل منهم تفرق إلى وجهته و لم يتعلق في ذهنهم شيئا من الحكاية سوى السخرية من تصرفات سي السيد .

نزل مرسى مهرولا من القطار تنتابه الحيرة ،قذف نفسه داخل توتوك و طلب منه التحرك بسرعة حيث منزل أخوه و أبنائه. عندما وصل إلى البيت وجد جمعا من الناس أمام البيت تشتت عقله ربما فعلها عبد الجواد و قتل الولد!

نزل من التوكتوك مسرعا ناداه سائق التوكتوك طالبا الأجرة فرمى له النقود من على بعد ودلف داخل البيت مخترق الجميع. ووصل إلى ردهة البيت وجد أولاد أخوه يبكون بشدة صاح قائلا عملها عبد الجواد ،وهم ينتحبون أكثر و لا يردون عليه.

وجه نظره إلى باب حجرة أخيه ثم انطلق نحوها بسرعة، وجد الولد الصغير يجلس بجوار جثة أبية يتوسل إليه و يبكى و يلطم خده اتسعت عين مرسى و برقت و لم يسعفه عقله استيعاب ما حدث، نظر إلى جسد عبد الجواد المسجى على السرير و مغطى بملاءة بيضاء، انتبه الولد لقدوم عمه مرسى ارتمى في حضنه و هو يبكى و يصيح بصوت عالي (خلاص يا عمى لن أقول لأه مرة تانية خليه يسامحني و يرد عليا). رد مرسى عليه بغضب و عصبية شديدة عملت إيه يا كلب و صفع الولد صفعات قوية لا شعورية متتالية و هو يردد عملت إيه؟ يا كلب و الولد لا يقاوم يستسلم لصفعات عمه ، في النهاية احتضن كل منهم الآخر و زاد نحيبهم و الدموع الغزيرة التي تنساب من عينهم.

انتبه مرسى لجسد أخيه المسجى ارتمى فوقه يودعه و يحتضنه و جد يده ممدودة و جهاز الموبايل مرمى على الأرض ،التقطه و تفحصه وجد آخر اتصال كان به في القطار الذي لم يمهله العمر دون ان يودعه كعادته معه في اتصالاته.

قال مرسى و هو يبكى لم أتأخر عنك يا عبد الجواد لكن القدر سبق.

تذكر مقولة أبنائه (الحق سي السيد)

خلاص يا ولاد الكلب مفيش سي السيد. وجهش بالبكاء مرة أخرى و هو يقول وداعا يا سي السيد.

اختار الموت على أن يعيش و يعصاه أحد أبنائه .

*****

أميرة الأميرات

أول مرة تفعلها عواطف و تفضح سرا لي ،كل الناس تعلم ما آلت له الظروف ،و كل ذلك حدث منها.!

لست أول شخص يمر بضائقة مالية لكن الأعداء كثيرون و الشامتون أكثر.

تحملت عواطف معي شظف العيش و تجاوزنا سويا كل الصعاب ، لم أحرمك من أي متع يمكن أن أوفرها لكي و لأبنائنا وفرت حياة الملوك و الأمراء و كان جزائي الفضيحة و العار.

غدر و خيانة ما كان بيننا ضاع الحب و العشرة.....باعت القصر الذي بنيناه سويا من طوبتين طوبة تعب و نصب و الثانية عشق و حنان.

لست عربيدا أو سكيرا ينفق على ملذاته.....حتى ترفضي أن تعطيني عقدا أو قرطا لأبيعه لأنقذ تجارتي من الفلس.

ثارت ثائرتي و لا أدرى بنفسي سوى أنى أنهال ضربا عليكي و بعدها تتركين البيت و معكى الأطفال

لا أطيق الحياة بدونك، أشتاق لأولادي، كم كانت سعادتي بعد عناء يوم طويل سعادتهم عند لقائي أعشق ضوضاء تهم.....

تركتي بيتنا لينال منى شاكر أخوكى الحقود الذي يضمر لي الشر دائما غيرة و حسدا.

أفاق من سرحانه على صوت الشيخ الذي يسير بجواره مطالبا أن يطرق الباب منزل أبو عواطف.

فتح الباب و دخلا الإثنان في حجرة المقعد و ما أن رآه الابن الصغير ارتمى في حضنه شوقا و لهفة هامسا في أذنه أمه ترديده بالخارج

خرج ليحدثها ثم عاد منفرج الأسارير كأن روحه المسلوبة عادت له.

فطن الشيخ للتغيير الذي طرأ عليه فأخذ يهزى في الحديث مع والد عواطف حتى يتحين الفرصة لإنهاء الموقف دون أن يسبب حرجا لأحد.

بادرهم والد عواطف قائلا: أعرف سبب مجيئكما اليوم

وقع الحديث عليهم كالصاعقة

تم استرسل والد عواطف في الحديث قائلا.:

ليس معنى إن عواطف دائنة لنا بميراثها من أمها إنك تطردها و تضربها أمام أولادها

و أكمل الرجل حديثه طالبا مهلة لتجهيز هذا الدين قيمة الميراث و هنا ابتسم الإثنان

طالبانه أن تعود عواطف مع زوجها و هو فخور مزهوا بزوجته التي بحثت عن مخرج لأزمته دون أن تسبب له حرجا مع أحد هكذا تكون الأميرات بل أميرة الأميرات

*****

خمسة فضة

سلامة له عادة غريبة ، عندما يأخذ حماما دافئا يملأ البانيو بالماء الدافئ و يضع خمسة جنيهات فضة . يقطر من زجاجة سائل الاستحمام التي تفوح منه رائحة الفل، يحرك الماء بيديه حتى تموج تيارات المياه داخل البانيو و تعلو فقعات الصابون على سطحه و تغطيه تماما ثم يلقى بجسده مسترخيا فيه و يغمض عينه قليلا دون أن يفكر في شئ مطلقا و يطلق لخياله العنان. يقبع عدة دقائق داخل حوض الاستحمام قبل أن ينهض متنعما بالراحة الجسدية و النفسية.

بعد أن يفرغ من حمامه يحرص على التقاط الجنيهات الفضة و يضعها على حافة البانيو الداخلية حتى لا تضيع أو يشقى في البحث عنها في المرة القادمة.

لم يمارس سلامة تلك العادة إلا من عدة أشهر بعد أن هجر إلى قاهرة المعز قادما من أرياف الدلتا و قطن تلك الشقة المفروشة و كان من أهم مميزاتها ذلك حوض

الاستحمام المتسع لا سيما بيته الريفي ليس به ذلك البانيو الذي كان يراه في الأفلام . أما فكرة الجنيهات الفضة جاءت بالصدفة البحتة بعد عدة مرات كان يستلقى سلامة في البانيو خصوصا بعد عودته من العمل المرهق دلج إلى الحمام مباشرة بملابسه و فتح صنبور الماء الدافئ وبينما يخلع ثيابه و عندما خلع البنطلون امتلأ حوض الاستحمام فهرع يغلق الصنبور قبل أن يغرق الحمام و البنطلون في يده فوقعت عدة جنيهات فضة.

عندما فرغ من حمامه الذي كان مريحا أكثر من أي مرة سابقه و انصرف الماء من حوض الاستحمام وجد الجنيهات الفضة و لكنها كانت أقل من خمسة . كل مرة يستحم فيها كان يحرص على وجود تلك الجنيهات الفضة التي أكملها خمسة.

مارس سلامة حياته وحيدا في مدينة كبيرة مستمتعا بالبانيو و لكن الوحدة تقتله فلا قنوات الدش و لا برامج التوك شو و لا الأفلام المعادة تغنى عن ثرثرة الأصدقاء و لا نميمة الجلساء في ريف مصر.

تمر الأيام ببطء و ملل حتى تصادق مع فتاة شابة في حارته ربما تعرف عليها داخل الأتوبيس التابع للنقل العام مع تكرار الوجوه و الأيام ، تلاقت العيون و الابتسامات تلك الحدوته المتكررة دائما. لكن زادت الحكاية عن اللقاءات البريئة إلى لقاءات داخل شقة سلامة الأعزب، الوحيد في مدينة كبيرة مثل القاهرة، تتوالى و تتوالى اللقاءات حتى أصبحت عادة مثل الاستحمام في البانيو بسائل الاستحمام و الجنيهات الخمسة الفضة .

ذات يوم اتصلت به هذه العشيقة تخبره أنها تستطيع أن تخرج من عملها مبكرا اليوم و ستسبقه على الشقة لتقضى باقي اليوم معه حتى موعد انتهاء العمل و تحفزه أن يفعل مثلها و يستأذن من العمل مبكرا و يلحق بها .

حاول أن يفعل بنصيحتها لكن مع ضغط العمل في هذا اليوم الغريب رفض المدير أن يسمح له بالإنصراف مبكرا.

تمر الدقائق بشق الأنفس انتابته حالة ضيق شديدة استحالة معها القيام بعمله على أكمل وجه تزداد حالة

الضيق أكثر فأكثر.ربما انقطعت أنفاسه لثواني ثم تعود الرئة إلى التنفس و هكذا.

رمى القلم من يده بقوة و هب واقفا مسرعا نحو المدير يعيد عليه طلب السماح بالإنصراف ، علا صوته بطريقة غريبة و أشاح بيده مهددا المدير إنه سينصرف و يفعل ما يشاء و ترك مكان العمل بسرعة و لم يستطع أحد من زملائه إيقافه من سرعته.

عاد إلى شقته و أول شئ فكر فيه هو حوض الاستحمام و الجنيهات الخمسة الفضة ، بعد أن فتح الباب لم يجد معشوقته في الشقة ربما لم تأتى بعد أو انصرفت بعد أن تأخر عليها. لم يتعب نفسه في التفكير فيها الأهم الآن البانيو، دلج إلى الحمام بملابسه وجدها تجلس في البانيو مسترخية و مغطاة بزبد سائل الاستحمام ، مغمضة العينين و لم تشعر بدخوله الحمام ربما أرادت أن تأخذ حماما بطريقته الغريبة فهي تعلمها لكنها لم تجربها من قبل لضيق الوقت الذي تقضيه معه في الشقة .

عاد إلى حجرة المعيشة وهو بلا نصف ملابسه تقريبا ، جلس على مقعد بجوار مكتبة الكتب التي لم يمسك كتابا منها منذ أن استأجر الشقة كما هي من صاحبها .تملل من انتظار خروج عشيقته من الحمام ، إلتقط كتابا بطريقة عشوائية و أخذ يقلب صفحاته التي تحتوى صور و حكايات. لفت انتباهه لصورة عدة عملات معدنية فوقف عندها و أخذ يقرأ ما تحتويه تلك القصة. كانت لأسطورة قديمة لأحد شعوب القديمة تقول أن من يضع خمسة عملات فضية في حوض الاستحمام و هو يأخذ حمامه يشعر بالراحة البدنية و النفسية لكن الأسطورة تحذر من الاستمرار أكثر من عشرة دقائق لأن طول المدة يصعب بعدها عودة الجسد من حالة الاسترخاء تلك لعدة أيام تصل أحيانا شهرا كاملا .

انزعج سلامة مما قرأ هب واقفا ، مسرعا إلى الحمام ، أخذ يقلب في معشوقته يمينا و يسارا يضرب خدها علها تفيق دون جدوى. فتح فوهة صرف حوض الاستحمام بينما يده تبحث عن الجنيهات الخمسة الفضة في ماء البانيو . فرغ الماء من حوض الاستحمام و لم يجد سوى أربعة جنيهات

فضة فقط .لم تفق معشوقته بعد ماذا يفعل؟ احتار لأمره. الفضيحة أصبحت وشيكة و الأهم حياة معشوقته قبل الفضيحة .اضطر أن يرفعها جسدها حتى وقفت على قدمها و تستند عليه فوجد آخر الجنيهات الخمسة أسفل جسدها في البانيو . فاقت معشوقته من غفوتها كأنها كانت تحلم حلما ورديا و رأته تحقق أمامها بعد استيقاظها.

*****

منزل السعادة السفلية

في حارتنا منزل مهجور، نسج سكان الحارة حكايات مرعبة حوله. عواجيز الحارة كل واحد منهم يمتلك حكاية و يجزم أنها الحقيقة، تشابه كل الحكايات التي تنصب في خانة العفاريت و الجان. تلك السيدة العجوز التي تشحذ عند مدخل الحارة هي الوحيدة التي تحكى قصة كاملة من بدايتها حتى النهاية. تدعى أنها عملت خادمة في هذا المنزل المخيف.

إن هذا المنزل ملكا لأحد تجار الغلال القادم من الصعيد. الحقيقة عندما جاء من الصعيد عمل عند أحد تجار الغلال الكبار و كان لا يملك سوى أجر يومه .ذلك التاجر له ابنة جميلة جدا ، لكنها أصيبت بحالة غريبة جدا تصرخ و تضحك في آن واحد.عرضوها على أطباء كثيرة عللوا الأمر إنها حالة نفسية ليس إلا .فاضطروا أن يلجئوا للسحر و الشعوذة لكن لا فائدة ظلت كما هي بل حالتها تسوء أكثر و أكثر. كان آخر الشيوخ علل

مرضها أن حالتها هذه بسبب عشق ملك الجان لها و انه سكن جسدها يرفض مغادرته بشدة و ازدادت الحالة تعقيدا عندما اكتشفوا أنها حامل ولا يعرفون من فعل معها السوء . اضطروا لتزويجها من ذلك الصعيدي القادم من الجنوب حتى يتستر على عرضهم و منحوه المال و التجارة و منزلا كبيرا في حارتنا هذه .

اختاروا أن يكون المنزل بعيدا بمسافة كبيرة عن كل منازل الحارة . سكان الحارة كانوا يسمعون الضحكات الماجنة من تلك المرأة ليلا و يتبعها صراخا حادا . زوجها الصعيدي رغم أنه يعلم حالتها جيدا ووافق على الزواج إرضاء لسيده و ولى نعمته و يدين له بالفضل ،الذي تولاه منذ قدومه من الصعيد ، لم يتحمل تصرفاتها و يستشاط غضبا كلما علت بطنها بذلك الحمل المزعوم. لم يستوعب عقله الصعيدي رواية ملك الجان و ظن ان أهلها لفقوا تلك الحكاية حتى يوافق على الزواج منها و يتستر على فضيحتها .

في أحد الأيام و هي تواصل ضحكاتها الماجنة ليلا و كبر بطنها لم يتمالك أعصابه التي فلتت لأقصى حد ممكن.

ضربها ضربا مبرحا و كلما زاد من ضرباته تعالت ضحكاتها أكثر و أكثر فيستشاط غضبا أكثر ،فتزداد ضرباته قوة أكثر من السابق حتى ماتت السيدة من شدة الضرب.عندما وجدها الرجل جثة هامدة جلس بجوارها . عندما دخل عليهم أهل تلك المرأة لم يجدوا أي منهم لا الرجل الصعيدي و لا جثة السيدة ظنوا أنه خطف الجثة و هرب لكن الخدم أجزموا أن لا احد منهم خرج من الحجرة مطلقا . هناك من رجح أن ملك الجان خطف الرجل الصعيدي و حبسه في مملكة الجان انتقاما من فعلته و احتفظ بجثة السيدة في مملكته أيضا .

ظلت الأصوات التي تصدر من السيدة ليلا تصدر بعد الحادثة أيام كثيرة ربما شهورا ضحكات تتبعها صرخات لكن هذه المرة صرخاتها تشبه صرخات النساء عندما تلد .توالت الحكايات هذا المنزل تتنقل من زمن إلى زمن،ليصبح هذا المنزل مصدر خوف للجميع لدرجة أن اللصوص يخشون السطو عليه رغم علمهم بأموال و كنوز بداخله. أطفال الحارة ينصتون لحكاية العجوز و هم جالسون حولها و هي تقص عليهم ذكرياتها في هذا المنزل

أيام كانت تعمل خادمه فيه . أهالي الحارة كانوا يهددون أولادهم من يعصى أوامرهم أو من يهرب من المدرسة أو من لا يقوم بعمل الواجبات المدرسية على أكمل وجه سيحبس في هذا المنزل المهجور و ستأكله المرأة التي تضحك و تبكى .

بقى ولع و شغف مصطفى بهذا المنزل منذ أن كان صغيرا يجلس بجوار الشحاذة العجوز يسمع حكايتها مع هذا المنزل حتى غدا شابا يافعا. تراوده من آن لآخر فكرة كان دوما يستبعدها هي أن يزور ملك الجان في هذا المنزل ليعرف الحقيقة منه. ذات يوم تسلطت عليه الفكرة و لم يعد يستطيع ان يمنع نفسه من اقتحام هذا المنزل.
في جوف الليل و عم الهدوء على الحارة الغارقة في سبات عميق . تسلل مصطفى للمنزل ووقف أمام بابه الخارجي يسحب نفسا عميقا، دفع الباب دفعة خفيفة و المفاجأة التي أزهلته أنه فتح على الفور كأن أحد ينتظره و ترك الباب مفتوحا ليدخل على الفور. وطأت قدمه أرض المنزل بخطوات مرتعدة و قلب يرجف، التراب يعلو كل شئ ، تجول في كل شبر من الطابق الأول و دخل كل غرفه

المفتوحة لا شئ غريب فيه منزل مثل كل منازل الحارة لكنه يتمتع بثراء فراشه و فخامة محتوياته.

أراد الصعود للطابق الثاني لكن قلبه المرتجف لم يتحمل أكثر من ذلك هذه الليلة فضل الانسحاب التكتيكي و العودة في الليلة القادمة . مر النهار سريعا لكنه شغوفا متحفزا لزيارة جديدة لهذا المنزل. وفى الليل انسلت من بين عائلته متوجها على الفور إلى المنزل المهجور .خطوات أكثر ثباتا من الليلة السابقة ، صعد على الفور إلى الطابق الأعلى لا جديد فيها كل الغرف مفتوحة و التراب يملأ المكان . في نهاية الممر الذي يفصل الغرف عن بعضها وجد غرفة مغلقة بابها موصد ، حاول فتحه بقوة ربما الصدأ غطى كالونه. بعد جهد مضني فتح الباب .نظر بعينه داخل الغرفة اندهش لما وجد فيها و فتح ثغرة من الاستغراب. تلك الغرفة خالية من الأتربة نظيفة، كأن أحد أعدها منذ قليل لتستقبل ضيفا يقطن فيها . أثاثها فاخر، حجرة نوم في أوسطها كنبة انترية أمامها منضدة صغيرة ، سرير أثير، أطرافه محاطة بستائر حمراء. أيضا في الحجرة

مرآة كبيرة ، التي اقترب منها و لم تظهر صورته فيها وقف أمامها تماما لم تظهر صورته أيضا . أيقن ان ما يقال عن هذا المنزل بدأت تهل بشائره.

جلس على كنبة الأنترية شارد الذهن ، يفكر في أمر المرآة و هذه الغرفة دون باقي غرف المنزل الأخرى . ظن أن هذه الغرفة التي حدثت فيها المعركة الأخيرة. ترجل حيث هذا السرير الأثير المبهر كأنه خرج من حكايات ألف ليلة و ليلة، جلس عليه بمهل و حذر قبل أن يرفع رجليه ويمددها على أقصى مدى لها حتى سرت الراحة في جسده و باقي أعضائه فرد ذراعيه على آخرهما بقوة فأحدثت صوت ارتطام لحظة التقاء الذراع بالسرير فاتبعها بصوت نسائي عذب يتألم بلطف . هب واقفا فزعا وجدها نائمة على السرير بلباس نوم شفاف و قصير يظهر تلك الأرجل المرمرية المنحوتة بعناية و جزء من أفخاذها الملفوفة و جزء العلوي من صدرها ، عندما رفعت رأسها قليلا ظهر جزء أكبر من صدرها الناهد . صدر منها ضحكات عالية بدلع و ميوعة ووقفت على السرير ساخرة من علامات الفزع و الرعب التي ظهرت

على وجهه، لاح قوامها الممشوق و شعرها المنسدل الطويل بعض الشئ الأشقر اللون. ظل مصطفى مذهولا و لسانه يعجز عن الكلام.

بادرته بالحديث قائلة : مالك شوفت عفريت .

-----:لا شوفت جنية . يحاول ان يتمالك أعصابه.

-----: تشرب مية.

-----: ياريت .

-----: هناك على الطرابيزة .

-----:أي طربيزة؟ اللي قدام الكنبة مفيش عليها حاجه .

-----: لا مش دي التانية الكبيرة .
إلتفت حيث تنظر عينييها فوجد منضدة طعام عامرة بعشاء فاخر من كل أنواع الطعام .

عندما دخل الغرفة و تفحصها لم تكن تلك المنضدة موجودة فيها .

مد يده يسحب دورقا ليتجرع شربة ماء ، ما أن وضعه على فمه و تزوق السائل الذي يحتويه بصقه على الفور من فمه قائلا : هذا ليس ماء.

كلما أتى بتصرف فزع أو خوف أو قلق تصدر تلك الجنية ضحكات ماجنة.

------: إيه تاني ؟

------: مش مية .

------:عارفه نبيذ، المية بجواره في الإزازة .

بعد تمالك أعصابه تماما و بدأ يستوعب الأمر سأل الجنية : حكايتك إيه بقى بالظبط؟ .

--------: هاقولك بس خلينا نتفق في الأول.

--------: على إيه؟--

-------: الحكاية تفضل سر بينا.

-------: اتفقنا .

كمان فيه شرط .

----------: إيه هو ؟

------: اللي يخالف الإنفاق يحصله اللي حصلي .

--------: و إيه اللي حصلك ؟

-------: هي دي الحكاية اللي أنا هاحكيها لك .

---------:موافق .

-------: كمان فيه حاجه ، لا أنا و لا إنت نقدر نتراجع في الاتفاق .

--------: موافق.

____: فكر قبل ما توافق.

--------: من غير تفكير، أنا جاي هنا علشان أعرف الحكاية .

طالبته بالإنصراف في هذه الليلة بعد أن تأخر الوقت و الشمس أوشكت على الظهور على أن يحضر غدا مبكرا حتى يسمع أكبر قدر ممكن من الحكاية .

في الليلة التالية تزين و تعطر و ارتدى أكثر ملابسه أناقة في دولابه و انتظر حتى خفت الأقدام من الحارة و لحسن الطالع أن الحارة تغط في النوم مبكرا و بسرعة لكنها تصحى مع شروق الشمس .صعد إلى تلك الغرفة مباشرتا و طرق الباب طرقات خفيفة و دلج داخلها، اندهش لمظهرها هذه الليلة ، ارتدت بنطلون جينز ضيق يظهر مفاتنها و بلوزة كجوال كأنها فتاة عصرية خرجت للتو من فيديو كليب لأحد الأغنيات الشعبية تلك التي تعرض على قنوات الأغاني صباح مساء ،دعته لمأدبة عشاء قبل ان تبدأ حكايتها ، استمتع برفقتها لطوال الليل من حكاية إلى حكاية لكن الليلة لم تكن تكفى لمعرفة كل الحكاية ، توالت الليالي و السهرات و تتلون الجنية كل ليلة في شكل أجمل و أحلى من الليلة السابقة ، تذهل مخيلة شاب في مثل سنه حتى أصبح مولعا بتلك الليالي ،

أصبح موعد جوف الليل موعدا مقدسا مثل موعد العمل و موعد الطعام.

ابتعد عن أصدقائه، تحولت حياته عمل في الصباح و سهر مع الجنية في الليل و بينهما يغط في النوم يحلم بما تفعله معه الجنية كل ليلة، كل ليلة مفاجأة جديدة و حكاية جديدة.

ازداد قلق المحيطين به من أهل و أصدقاء لتغير حالته.مما جعل والديه يقترحوا عليه الزواج ربما كان هذا هو سبب تغير أحواله من أسوء إلى أسوء كما يعتقدون.

لم يصل حدثهم إلى المنزل المهجور أبدا لأنه لم يعد في الحياة لأنه مهجور.أمام إلحاح مستمر من عائلته اضطر أن يوافق على خطبة إحدى قريباته التي لم يرها من قبل ربما فيما بعد وجد سببا يجعلهم يقتنعون بتأجيل فكرة الزواج .لكن لحظه العسر من زاوية رؤيته للموضوع ، كانت العروس جميلة طيبة رقيقة أنيقة ، ازدحمت مواعيده بموعد جديد يلتقي فيه خطيبته من آن لآخر. مع مرور الوقت استطاب مجالسة خطيبته اللبقة الحنونة

التي أصابت شيئا في قلبه فكان يطيل من جلسته معها كل يوم ، كل مرة عن المرة السابقة و أصبحت المواعيد متقاربة أكثر من بداية الخطوبة ربما أصبحت يوميا ، تحولت أجندة يومه بين العمل و خطيبته و الجنية في الليل التي لا تدخر وسعا في إثارة شهيته كل ليلة عن الليلة التي تسبقها .تمزقت روحه بين واقع لذيذ و مرير أحيانا مثل كل البشر و خيال ممتع شيق يتمناه كل البشر .

بعد إتمام الزواج أصبح موعد جوف الليل عبئا ثقيلا عليه لأن مبرر خروجه في مثل هذا الوقت يثير شكوك الزوجة لكنه لا يستطيع في كل الأحوال الاستغناء عنه .

وهن جسده و أصبح زائغ البصر شارد الذهن ربما غائبا عن الوعي حتى أصبحت حالته ظاهرة لكل عين تراه و لا يجد مبرر لحالته لأن لسانه مربوط باتفاق مع الجنية. نصحه أصدقائه بالذهاب إلى طبيب نفسي و آخرون نصحوه بزيارة المشعوذين و السحرة و أحيانا المعالجين بالقرآن.

حالته تسوء كل يوم حتى جعلت زوجته تخرج عن تحفظها و تطالبه بالذهاب إلى طبيب بعد تدهور واضح في جسده و حالة الشرود التي تلازمه في أوقات التي يقضيها معها.
رفضه المتكرر جعل زوجته تشك في أمره و صارحته بشكها و اقترحت عليه أنه إن كان أجبر أو اضطر للزواج بها إرضاء لأمه و أبيه و أنها تعلن انسحابها من حياته و تعود إلى أهلها فورا و عليه أن يقترح سببا للطلاق و لا تمانعه في هذا السبب مهما كان .لكنه رفض اقتراحها لأنه أحبها بالفعل إنها الحياة التي يجب أن يعيشها و ينعم بها و يتلذذ بمشاكلها و همومها قبل فرحها لكنه في قرارة نفسه يعشق مواعيد جوف الليل حيث عالم الخيال كل ما يتمناه يجده أمامه لا يستطيع أن يفقده هكذا بكل بساطة كم تمنى أن يحكى لزوجته عن كل شئ حتى تتفهم موقفه ربما سمحت بالجمع بينهما تحت سقف واحد ،لكن الاتفاق هو الاتفاق لا رجعة فيه .

إحدى الليالي مستمتعا بجو خلاب من قريحة الجنية اللعوب سمعا صوتا في طرقات المنزل المهجور توقف قلبه ربما انكشف أمره . وجد من يحاول فتح تلك الغرفة

العجيبة و ما أن انفتح الباب وجد زوجته أمامه تراه منغمسا في ملذات الخيال الخلاب و المدهش أن الجنية لم تختفي من أمامها و علمت الحقيقة بعينها ،لم يخبرها أحد

انصرفا الإثنان إلى منزلهما دون أن ينطق أحد بكلمة و في الصباح ذهب إلى عمله هاربا من رد فعل زوجته و مواجهتها و لومها و تأنيبها له .

بعد انتهاء العمل جلس على مقهى قريبا من عمله يحاول أن يؤخر موعد عودته لأقصى وقت ممكن.

الصدام قادم قادم لكن طول مدة الانتظار يطفئ جذوة الغضب قليلا.

في النهاية لا مفر من المواجهة ، عاد إلى بيته وجده نظيفا مرتبا على غير العادة و أضواء مغلقة تماما ، ظن أن زوجته تركت البيت و عادت إلى كنف أهلها بلا رجعة.دخل غرفته يائسا حزينا مستاءا إلى ما آلت له الأحوال .فتح النور وجد زوجته مستلقية على السرير بلباس نوم شفاف قصير يظهر مفاتنها ربما لم ينتبه لتلك الكنوز من قبل . ارتمت في حضنه و رائحة عطرها

الخلاب تزيد الأمور اشتعالا و قبلته أسفل أذنه و هي تهمس قائلة :

" حواء أخرجت آدم من الجنة و قادرة ترجعه للجنة تاني ".

*****

ذات ضالة

قفز سريعا داخل قطار قبيل تحركه الذي بدأ في التحرك بطيئا، تزداد سرعته رويدا رويدا حتى أخذت تنتظم كالعمر تماما يبدأ بطيئا في مراحل النمو ثم يجرى سريعا حتى يصل لمحطة النهاية.

في زحام القطار يموج بين الناس باحثا عن مقعد خالي. ينتقل من عربة إلى أخرى حتى وجد مقعدا خاليا منزويا في أحد الأركان متهالكا ، من يراه يفضل الوقوف عن أن يقبع داخله و يصاب بآلام العمود الفقري لكن صاحب الذات لا يكترث رمى جسده داخل المقعد المتهالك .تفحص وجوه المسافرين من حوله باحثا عن عادات كانت تميز ذلك المجتمع عن المجتمعات الأخرى. الآن من يجلس على مقعد لا يتنازل عنه أبدا طواعية و لا كرها لعجوز كسرته الأيام أو لصغير لا يقوى على صد ضربات الحياة حتى يضطر من يصطحبه على حمله و هو واقف هكذا أصبحت الحياة ،تتعاقب الأجيال و الجيل السابق

كان يسلم الراية للجيل الذي يليه لكن ثقافة الزحام التي جعلت كل جيل ينال حظه من الجيل الذي يسبقه بشق الأنفس.

يزداد الزحام مع كل محطة جديدة يدلجها القطار. أصبح مدى البصر لا يتعدى رؤية القدم ليس أسفله.

نظر في أعماقه عله يجد ذاته لكن ما كان لا يتوقعه حدث. اختفاء الذات ،أين ؟ متى لا يدرى ؟ لكن الثابت يقينا أنها ليست موجودة في أعماقه .

لاح سؤال لنفسه و أخذت ترده: لماذا ذاتك الآن؟ لم تعتني بها يوما! لم تزرع داخلها العزيمة و الاستبسال. ترمى داخلها أحلامك و آمالك ، الحلم تلو الحلم و لا تسعى لتحقيق أي منها أو مجرد السعي .أربعون عاما مضت تكفى أن تعيش باقي العمر على ما حققته من إنجازات فيها.تركت ذاتك هائمة في غياهب الحياة و لم تصونها كما هي صانت أحلامك ،تلقفتها المخاطر و حاصرتها من كل صوب.

لم تدعها تذوق تخاريف الصبا أو تهور المراهق حتى حرمتها من صياح طفل أو فرحته عندما ينال شيئا هينا أتاه بعد شقاء الإلحاح على الأهل حتى يلبوا حاجته .

ضاعت ذاتك بين ظلمات و أنوار، أفراح و أحزان ،بين نحيب و بكاء و ابتسامات و قهقهات .تعيش الحياة صدفة لا تستطيع أن توجهها أو تسيطر على مجرياتها. أهو الحنين و الاشتياق؟ يجعلك تبحث عنها اليوم، أم أسى و حزن على ما أصابها ،أم أفراح و أوجاع .تمنيت حلما لم يولد حتى الآن. ليت ساعة تحديد مصيرك ما كانت و لا حانت. تركت كل شئ للصدفة وحدها ليتك حزمت ذاتك حتى لا تضل في وهم حياتك . توقف القطار في محطته الأخيرة كما يتوقف العمر عند خط النهاية .

*****

صياد النساء

يصارع الموج لجلب الرزق من أعماق البحر و يعزف الناي حتى يتجمع السمك في شباكه ، لكن هذه المرة كانت الشباك ثقيلة جدا لدرجة إعيائه من ثقلها فارتاح قليلا حتى يستجمع قواه ثم واصل جذبها حتى أخرجها و بها صندوق ضخم، فتحه على الفور وجد جثة رجل ومعها ورقة ملفوفة كأنها وصية، قرأها.....

كان مكتوب فيها أن هذا الرجل يمتلك كنزا و أسفل الجثة جزءا منه و باقي الكنز مع أرملته من يريده عليه أن يتزوجها و هذا عنوانها إذا وافقت، عليك أن ترمى الجثة في البحر و تأخذ الصندوق إلى تلك الأرملة و قص عليها ما حدث أما إذا رفضت عليك أن تعيد كل شئ كما كان و تلقى الصندوق كاملا في البحر.

زاد شغف الصياد بهذه الحكاية و قال لنفسه لما لا ، أحتاج المال و الونس ، رمى الجثة و أخذ الصندوق و توجه إلى تلك الأرملة.

وجد بيتا محاط بأسوار عالية، أخبره أحد المارة إنه لسيدة مات زوجها منذ أمد.

طرق الباب الوحيد لهذا البيت قائلا :عابر سبيل يريد طعاما، فتحت الباب سيدة في منتصف العمر جميلة إلى حد ما، دون أن تنطق بكلمة أدخلته ساحة البيت و أحضرت الطعام و انصرفت و كان طعاما لذيذا شهيا يدل على ثراء أهل البيت ما زاد الطمع في نفسه أكثر و أكثر. عادت المرأة لتأخذ الأواني الفارغة .

حكى لها ما حدث و أظهر الصندوق الذي تركه خارج الباب ، ضحكت ضحكات عالية و هو مندهش من تصرفها و جذبته من يده و أدخلته داخل البيت حيث سيدة عجوز مشلولة و عمياء لا ترى

و قالت : انا خادمة هذه السيدة

قال الصياد: لا أستطيع التراجع كيف أعيد الجثة للصندوق مرة أخرى؟

..... يكفى الكنز.....

قالت الخادمة:إنها لا ترى و لا تسمع و لا تتكلم و كما ترى لا تتحرك.عليك أن تبحث عن الكنز المزعوم بنفسك فلا يرشدك أحد.

قال الصياد بحسرة: وعدت الجثة و لا مفر من ذلك ، أمر لله.

ضحكت السيدة ضحكاتها العالية قائله أخيرا وجدت رجل وفي لوعده و كشفت عن حقيقتها.....

إنها الأرملة الحقيقية و أن السيدة العجوز خالتها.

قال الصياد (مستنكرا): إذا كنت هربت و لم أنفذ العهد.

-:سبقك سبعون أكلوا طعاما مثلك ووضعوا في نفس الصندوق و ألقوا في البحر.

*****

نخلة الغريب

انطلقت سيارة الميكروباص و هو يركب بجوار السائق و لا يجاورهم أحد يمعن في الطريق كأنه يريد أن يتذكر شيئا ، أو يبحث عن شئ. عندما وصلت السيارة لمكان ما سأل السائق قائلا : مش كان فيه هنا ساقية ؟

---:أيوة يا استاذ فعلا.....

اندثرت و تلاشت و لا يبدو منها سوى جزء من الطرف العلوي الذي كان هدف الصبية عندما يتسلقونها في الماضي و بشق الأنفس يصلون له .أصبح الآن تحت الأرض. هز رأسه بأسى و حسرة .

ربما مبادرة الرجل بسؤال فتح شهية السائق للثرثرة و دفع باب الفضول حتى انفتح على مصراعيه .

---:واضح من سؤالك إنك ما جيتشى هنا من زمان ؟

- :ده صحيح

- :ممكن أعرف إنت من بلدنا ؟

- :كنت

- :ممكن أتعرف لو مؤاخذه

- :أنا عبده والدي كان موظف بوستة زمان عندكم

- :ياه كان من زمان قوى أكتر من عشرين سنة.

- انا كنت معاك في المدرسة الابتدائي قبل ما تسيبوا البلد

انطلق السائق في الثرثرة و لم يكترث الراكب بما يقوله و لا يصدر منه أي حرف ردا عليه سوى هزة رأسه و عينه على الطريق و أحيانا يقطع سرد السائق عن الماضي بسؤال عن أحد معالم الطريق التي تبدلت أو اختفت . واصل السائق حديثه قائلا :فاكر يا أستاذ عبده لما اتراهنا كلنا مين يطلع لأعلى الساقية اللي كنت بتسأل عنها و انت صممت تطلعها للآخر و مقدرتش تواصل لحد ما وقعت فيها و لمينا البلد كلها علشان نطلعك منها.

الراكب يواصل هز رأسه مع ابتسامة خفيفة.

وصلت السيارة لمقرها الأخير و هبط الركاب و ظل عبده لدقائق داخل السيارة تتملكه الحيرة أين يذهب ؟

انتبه السائق لحالته عرض عليه المساعدة لكنه رفض قائلا : هامشي في أي اتجاه و رجلي هاتودينى إلى حيث تريد .

سار في أحد الاتجاهات و لا يدرى إلى أين المصير ؟ يمعن النظر في وجوه كل من يقابله ربما تعرف عليه و لا سيما عندما يقابله شخص في مثل عمره دون جدوى لأنه ترك تلك القرية و هو صبى.

سار حيث حقول القرية و ذلك المكان الظليل عندما رآه شعر باشتياق و حنين . غاص بين الأشجار و النخيل حتى وجد تلك النخلة العالية دار حولها عدة لفات و تحسس جسدها الصلب كأنه وجد معشوقته بعد غياب طويل . جلس أسفلها و راح في شرود لدرجة أنه لم يشعر بأحد حوله و لم يكترث بمن حوله . تارة ينظر إلى السماء و تارة ينظر إلى الأرض.

غابت الشمس و حل الظلام و مازال على حالته تلك.

لاحت شمس يوم جديد و تسلل شعاعها خجلا من بين أوراق الشجر الكثيف .دبت الأرض بأرجل من يعمرها من جديد و مازال عبده أسفل تلك النخلة لكنه مطأطأ الرأس لأسفل لا يحركها.

اقترب منه أحد المارين المرتاب في جلسته تلك مناديا بصوت معتدل : يا أستاذ لم يعره اهتماما أو حتى التفاتا.زاد من صوته مع نغزة خفيفة لكن لا رد و لا نظرة. التف حوله جمع من الناس . مسكه أحدهم و هزه بعنف و لم يصدر منه أي رد فعل صاح أحدهم قائلا : إنا لله و إنا إليه راجعون .

أطلق سكان تلك القرية على هذه النخلة لقب نخلة الغريب . أصبحت مزار لكل من تاه ولدها أو غاب عنها زوجها وما كان عليها سوى أن تبيت ليلة كاملة أسفلها. في مثل هذا اليوم من كل عام يقام مولد نخلة الغريب .

*****

بعد فوات الأوان

يخرج من بيته كل صباح ثملا ، تتثاقل خطواته ، كل شئ ثابت لا يتبدل. حياته تسير على وتيرة واحدة.

لا ينظر في الساعة إلا في وقتين محددين ، عندما يشير العقرب اللعين إلى الثامنة صباحا فهذا موعد العمل ، و عندما تدق الساعة تعلن موعد انتهاء العمل في الثالثة من بعد الظهر.

لا شئ في حياته سوى ذلك، يركب نفس الأتوبيس منذ أعوام مرت و يجلس على نفس الكرسي كل يوم.

يدخل حجرته في المبنى الذي يعمل به دوسيهات كما هي بألوانها ملقاة دون ترتيب على المكتب. تلك سمته في العمل دون كلل و لا ملل منذ أن يدخل المبنى حتى يغادره ، وحيدا في حجرة واسعة لا سيما بعد وفاة الأستاذ حسن الذي كان يشرف عليه حتى أتقن عمل حسابات الشركة و ميزانيتها بدقة متناهية. في آخر أيام الأستاذ حسن كان

يقوم بالعمل بمفرده إجلالا للرجل و اعترافا بجميله عليه لكن كان وجوده يسليه بعض الوقت ، بعد وفاته لم يطلب من المدير أحدا يساعده و لم يشتكى قط من العمل الشاق.

هذا اليوم شرد بذهنه في مسيرة حياته كيف كان في الجامعة يعمل بعد انتهاء اليوم الدراسي ليستطيع أن يكمل تعليمه الجامعي لكن وجودها في حياته طوال اليوم في الكلية و يمنى نفسه بطلتها الجميلة لكنه ظل صامتا كعادته خجولا لم يفارقه انطوائه لحظة أبدا في حياته .

كان يرى محبوبته كل يوم و لا يمل من متابعتها بعينة و هي تذهب و تجيء أمامه . كان يحرص أن لا تراه و هو ينظر لها أبدا . إنها فتاة الكلية الدلوعة جميلة تسر الأعين و تبهرها بحركاتها العفوية ، يبدو عليها الثراء و هذا ما كان يجعله يبتعد عنها و لا يصارحها بحبه قط. وضع اهتمامه بالتعليم و تحصيل العلم عله يعوض فارق ذلك الثراء بينهم. دخل في صراع بين الطبقات المادي و الأدبي حتى أنهى سنوات الجامعة و التحق بهذا العمل و ابتعد

عنها و لم يعد يقابلها و لا يراها و لا يعرف لها طريق أو عنوان. ابتسم ابتسامه خفيفة أخرجته من هذا الشرود و عاد يواصل عمله من جديد .

قطع صوت الساعي الأجش انهماكه في العمل يخبره أن المدير يريده في أمر ما فكثيرا ما يطلبه المدير بعد أن أصبح من أعمدة إدارة الشركة.

بخطوات متراخية سار إلى حجرة المدير دق الباب بطرقات خفيفة و دخل دون أن ينتظر الإذن بالدخول ، لم يهتم بالجالس مع المدير حيث ظهر ذلك الشخص للباب و لم يلتف حول المكتب ، وقف بجوار الباب ، في حالته تلك كل شئ يتساوى إن كان رجلا أو امرأة شخص مهم أو لا قيمة له.

حدثه المدير و هو يشير لذلك الشخص زميلتك الجديدة سوف تقاسمك العمل و الحجرة. هبت واقفه و تلتفت ترحب به، عندما رأى وجهها اندهش من المفاجأة و تلعثم قليلا و خرجت كلمات الترحيب بصورة غير مرتبة و أحيانا غير مفهومه لكنه تدارك الموقف و تماسك قليلا و

حافظ على اتزانه لكن قلبه أصبح ينبض بالفرحة و انشرح وجهه الشاحب. اصطحبها إلى حجرته بخطوات تدب في الأرض بقوة تعلن عن نشاط مفاجأ إنها هي التي كان يتمناها الآن معه في حجرة واحدة كل يوم.

جلسا معا في حجرته يتبادلان الحديث لكنه كان منشغلا أن يرى يديها بها خاتم الزواج أو خطوبة أو ما شبه و تحرج أن يسألها مباشرتا. باغتته بالتصريح له أنها تعرفه و تذكرة أنه كان منطويا أيام الدراسة و ينزوي في ركن بعيد و لا يختلط بالزملاء. سردت حكايات عنه حدثت أيام الدراسة و كيف كان الزملاء يتحدثون عنه و كانت تصرفاته الغريبة تثير الشغف أن يعرفوا عنه المزيد ، كانت تشير بيدها و هي تتحدث لدرجة انه تأكد تماما أنها لا تضع خاتما أو دبلة زواج في كلتا يديها . شعر أن ساعات العمل انتهت بسرعة في ذلك اليوم ، كان يتمنى أن تطول أكثر فحديثها شيق رغم أنه سمع منها كلاما غير مستحب لذكريات الشقاء و الألم .

عاد إلى بيته شارد الذهن يفكر في تلك المفاجأة التي لم تخطر بباله قط. تصارعت خلجاته بين بعضها البعض جزء

منها يطالبه بالتصريح لها عن حبه و الجزء الآخر يطلبه بالتريث حتى يتأكد عن عدم وجود أشخاص في حياتها و لما الاستعجال و الآن يراها كل يوم في حجرة واحدة و لا أحد معهم .

الآن ليس هناك فارق كبير بينهم مركزه الأدبي في الشركة يعوض لحد ما الفارق المادي بينهم كل الظروف الآن مواتيه.

نظر حوله في منزله ، تذكر أنه لم يترك بيته سوى للعمل و عندما يعود يمكث به حتى صباح اليوم التالي حتى جيرانه في نفس العمارة لا يعرفهم و ربما لو قابلهم في الشارع لم يستطع أن يحدد أنه جاره.

نمى لدية رغبة التسكع في الشوارع هذه الليلة على غير عادته. دار في الشوارع المحيطة ببيته لكنه لاحظ لأول مرة وجود مقهى على مقربة منه منذ أن قطن هذا البيت من عامان أو أكثر، جلس يحتسى فنجان القهوة بالتأكيد سيكون ألذ من ذلك الذي يصنعه الساعي صاحب الصوت الأجش في الشركة .

رحب به أحد الجالسين و دعاه للجلوس معه على منضدته وافق على مضض و هو يقول له أعرف أنى رأيتك قبل ذلك لكن لست متذكر أين و متى ؟

ضحك الرجل أين و متى ؟ ها هاهاها

أنا جارك في الشقة المجاورة في نفس العمارة.

ضحكا معا و تجاذبا الحديث . بعد قليل استأذن منه و عاد إلى شقته ، رمى جسده على مقعد إعتاد الجلوس علية كل يوم منذ أن قطن هذه الشقة ، بعد أن جلس لاحظ أنه يجلس على هذا المقعد دون غيره من المقاعد ربما زهق هذا المقعد منه ، هب واقفا و جلس على الأريكة بضعة من الوقت ، بدل مقعده عدة مرات و هو سعيد.

في الصباح صحا نشيطا مبكرا عن موعده تزين اختار أفضل ملابسه ذهب إلى مقر عمله لم يجد أحدا حضر سوى الساعي سأله عن سبب تأخر الموظفين أجابه بصوته الأجش (حضرتك اللي جيت بدري النهارده)

دخل غرفته ، أخذ يعيد ترتبها و يعدل من مكان مكتب الأستاذ حسن الراحل الآن ستجلس علية فتاته المفضلة

طالب الساعي بتنظيف المكتب و الحجرة جيدا على غير العادة أعاد ترتيب الملفات.

توافد الزملاء الواحد تلو الآخر و دخلت علية و جلست على مكتب الأستاذ حسن الشاغر منذ فترة طويلة و حيته بالطبع و رد عليها التحية ظل طيلة اليوم يتحين الفرصة ليبوح لها بالسر المكبوت طيلة عمره.

لكنها تسأله عن أشياء لا تفهمها في العمل فهي أول مرة تعمل منذ تخرجها من الكلية رغم مرور عدة أعوام.

بين لحظة و أخرى يتلصص النظرات معتقدا أنها لا تراه، مازال صراع خلجاته قائم منذ الأمس.

مر اليوم بين تلصص نظراته المصوبة اتجاهها و صراع خلجاته ، اقترب اليوم من الانتهاء ، رمت القلم على المكتب و هي تقول بصوت عال (كفاية شغل بقى النهارده إنت ما بتملش من العمل).

دخل شخص عليهم نهضت على الفور تقابله بترحاب بالغ دقق النظر فيه أنه يتذكره أنه زميل لهما في الكلية.

لكنها جذبت ذلك الشخص القادم و هي تقول تعالى لما أعرفك بواحد ما شفتوش من زمان

لكنه قال أهلا و سهلا اعرف انه زميلنا العزيز

قالت نعم هو زميلنا و خطيبي

*****

زينب

العيب الوحيد للبنت زينب أمها و مضطر أتحملها من أجلها وما زاد الكيل أنها تريد مهر زينب كامل الليلة و إلا حسونه العجلاتى جاهز بكل شئ. تجار كثيرون مدينون لي لكن الذي أقدر أحصل منه الدين الكبير يكفى باقي المهر عم راضي، المهلة قليلة تاجر واحد يحل المشكلة . الدكان مغلق كالعادة تجده بجوار زوجته الجديدة الصبية، ينام بجوارها أكثر من جلوسه في الدكان .

ما هو العمل ...؟ لا مناص من الذهاب إلى بيته فهو الأمل.لن أتركه قبل دفع الدين كاملا اليوم،

على مقربة من البيت، ناس كثيرة تتجمع أمام بيت عم راضى،لا تهتم زينب أهم . تجاوزت الجميع دخلت البيت وجدت نسوة تتشح السواد وصراخ وعويل .

مات عم راضى ..... ضاعت البنت زينب.

*****

حكايات شهريار

في أول ليلة بعد ألف ليلة و ليلة لم تجد شهرزاد ما تحكيه،فجئت شهريار قائلة: الليلة الدور عليك أن تحكى يا مولاي،تحمس شهريار و بدأ يحكى..قائلا:

عندما رحل سندباد مع البحارة لإنقاذ الأميرة من براثن القراصنة ترك أخاه الصبي في القرية يرعى النساء.كان هذا الصبي يذهب للبحر في الصباح و ينتظر عودة سندباد حتى تغرب الشمس . ظل هكذا عدة أيام.في يوم وجد امرأة تصطاد في الصباح نهرها قائلا هذا عمل الرجال.

قالت بسخرية: الرجال رحلوا و لم يتركوا سوى الصبية و النساء.

كأنها أصابت رجولته الناشئة بخنجر، جذبها بقوة وأخذ يصطاد بمركب صغيرة وهى تنتظره على الشاطئ وعاد بصيد وفير وأعطاها إياه و صدره منفوخ غبطة قائلا: سندباد ترك رجل وحيد و نساء القرية.عرفت سائر

النسوة ما كان، تجمعن في الصباح على الشاطئ ينتظرن صيد الشاب .أصبح لكل امرأة يوم تأخذ الصيد منه و يزورهن في بيوتهن و يداعب أطفالهن حتى أصبحت كل بيوت القرية بيتا له.أحد الأيام مرض الشاب ،ذهبت المرأة التي حل عليها الدور تصطاد بنفسها و عادت ترعاه مع صغارها.عرفت سائر نساء القرية ما فعلت ذهبت التي تليها في اليوم التالي تصطاد و ينتظرها الشاب على الشاطئ.و سارت الأيام هكذا حتى عاد سندباد مع من تبقى من البحارة.علموا من نسائهم ما كان يحدث في غيابهم .شكروا الشاب على شهامته مع النساء و الأطفال. لم يلحظ أي منهم أن أبنائه زادوا واحد أثناء غيابهم.صاح الديك، أحكم شهريار الغطاء على جسد شهرزاد التي راحت في سبات عميق.

*****

رحلة أمواج

جسد ضعيف تعصف به الأمواج بين ثناياها. عندما تعلو يعلو معها و عندما تهبط يغوص في أسفلها . عندما تقابل موجة شقيقتها بالأحضان الملتهبة كأنهما يعصران جسده. كان يباعد بينهما بسواعده القوية المنهكة. تنهار قوته لكن الأمل الذي يحدوه يبث الروح في نفسه و يرسل الصور المزعجة في حياته حتى تعود عزيمته لعنفوانها من جديد.

يحتد الصراع و يصل لأشده تأتيه صورة أمه التي وهن جسدها بعد قضاء عمر من الشقاء و العذاب حتى انهار جسدها و اقتحمت الأمراض أوصاله. تهب إرادته من جديد و يمسك ذلك الخيط الرفيع الذي يفصل الحياة عن الموت.يتقدم خطوة و يدخل في منطقة عازلة بين الموت و الحياة .يبدو له صورة أشقائه الصغار الذين يسلكون مسلكه في أول طريق الضياع.يجذب أكثر ذلك

الخيط الرفيع و يضرب بكلتا قدميه و سواعده حتى ينتصف في المنطقة العازلة .

تشن الرياح غارة جديدة علها تنهى المعركة لصالحها . تخور قواه و كاد يستسلم لليأس. باغته أحد الأشقياء الذي استدان منه مبلغا من المال حتى يستطيع أن يلقى بجسده في يم الأهوال و المخاطر.

مهددا إياه بالقتل إن لم يرد القرض في موعده . تفوق عزيمته من سباتها و يواصل مقاومته للمصير المحتوم .

تأتي الصورة تلو الأخرى و مازال يقاوم بعد فراغ أسلحته المتمثلة في عزيمته التي تشد من أزره ،كادت تفرغ من عتادها. يرفع رأسه عن سطح الماء ليستنشق شهيقا يستمد به الحياة يتذكر تلك النسمة التي كان يتقاسمها مع محبوبته على شط النيل في آخر لقاء بينهما و هي تحذره أنه لن يراها مجددا إلا إذا تزوجها و إلا تزوجت غيره من يستطيع أن يوفر لها ملذات الحياة و متعها. يعافر مع نوبات الأمواج العاتية مع كل صورة تأتيه يقترب أكثر من الحياة.

لاحت في الأفق شمس جديدة لم يرى مثلها من قبل كأنه يراها لأول مرة إنها شمس مبهرة. إنها شمس الأمل.

تتقهقر الأمواج شيئا فشيئا معلنة هزيمتها.

تيبس الماء من تحت قدمه . تنتفض كل عزائمه و تدب الروح في كل أوصاله، اقترب الشاطئ الذي ينتظره الأمل على رماله .

تنحسر المياه من على جسده و تطفو رأسه على سطح الماء . تطأ قدمه بقوة على رمال الشاطئ الذي ارتمى جسده عليها طالبا الراحة و الاسترخاء قبل حصد غنائم المنتصر. راح في سبات عميق لم يفيق منه سوى وقع أقدام من حوله، إنهم حرس الحدود يرتدون ملابس تشبه رجال حرس حدود بلاده و يتكلمون بلغة بلاده و يقتادونه إلى سجن بلاده .

*****

صراع الأبواب الموصدة

لا تغفو عيونه الثائرة في غياهب السجن الموحش. يجلس القرفصاء طوال الليل في الجهة المقابلة للنافذة التي تبعث ذلك الركن البارد لكنه يلهب أفكاره شعاع ضوء خافت الثائرة التي تصارع تلك الأبواب الموصدة.

عندما تفتح الأبواب في الصباح يستنشق الهواء في فناء السجن يعطى براحا لتلك الأفكار الثائرة التي تطوق للحرية حتى تصبح رياحا عاتية تقلع كل من يقابلها أو أمواج تتلاطم تأكل كل من يقع بين ثناياها.

ليلة أخرى خلف أبواب موصدة و شعاع النافذة ووقع أقدام السجان التي تقطع صمت الليل.

هذه الليلة تكاتفت الأفكار و زاد نشاطها فلم يستطيع الجلوس كعادته في ركن أمام النافذة حتى شعاع الضوء الخافت تمنع و انقطع وتلاشت وقع أقدام السجان بقى صريع الأفكار الثائرة التي لا تعرف الهدوء أبدا لكن

الأبواب مازالت موصدة شب ليمسك حديد النافذة العالية لكنه نجح في ذلك عله يستنجد ببصيص ضوء يحمل أفكاره الثائرة ظلت نفسه بين رحى ديكتاتورية الأفكار و جبروت الأبواب الموصدة.

تبا للظلام ، تبا للأفكار الثائرة، تبا للأبواب الموصدة.

عادت وقع أقدام السجان كأنها أغنية عاطفية تطرب من يسمعها و انفتحت الأبواب الموصدة.

صاح الجميع

ثورة .....ثورة.....

اللعنة على الأبواب الموصدة.

*****

مرحوم محتمل

في بلادنا أكثر شئ نقوم به هو قتل الوقت . أكثر الأماكن يقتل فيها الوقت و يذبح ذبحا هي المقاهي و ما أكثرها .

كل مساء يذهب علي ليذبح الوقت على المقهى مع أصدقائه بسكين الدومينو.

تعددت السبل و الذبح واحد.

هناك من يتلذذ بالذبح على أنغام النرجيلة التي تغرد في عزف منفرد ولا سيما أن تكون بالفواكه المتعددة تفوح روائحها على جذوتها و دخانها يعبأ المكان .

منهم من يستخدم الطاولة و طرقعات النرد في جنابتها و خبطات أوراقها عندما يضحك الحظ للاعب دون الآخر. هناك من يفضل القتل الرحيم بالأحاديث المختلفة تارة في الاقتصاد أو السياسة أو الرياضة، على المقهى تجد آراء لن تجدها في الأمم المتحدة و لا تحت سقف أي برلمان في

العالم . تجد خطط تدريبية لن تجدها في أعرق النوادي لا برسا و لا ريال مدريد و لا حتى الأرسنال.

أثناء انهماك علي في ذبح الوقت مع حبكات الدومينو و قفلتها ، رمق عجوزا يجلس منفردا يذبح الوقت بطريقة منفردة يقرأ صحيفة تلو الصحيفة و أمامه على المنضدة جرائد كثيرة و مجلات بكمية ملفتة للنظر و الاندهاش في مثل هذا الوقت و بهذه الكمية التي لا يقدر على شرائها سوى ميسور الحال .تجاوز ذلك العجوز الستين بعدة أعوام يرتدى بدلة فاخرة جدا مثل التي نرى المشاهير يرتدونها لكنها متسخة ليست معتنى بها ،حذاء فخم لكنه غير نظيف لحية كثيفة غير مهندمة يبدو عليه أنه اضطر لإطلاقها ل سبب ما رغم إرادته . يواصل نادل المقهى في إحضار مشروبات له دون أن يطلب كأنه يعلم ما يريد من قبل أو إعتاد عليه . لا يكترث بمن حوله و لا يحاول أن يختلط بهم قط .أثار مشهد ذلك العجوز الفضول لدى على و لا سيما عندما يراه كل ليلة في موضعه لا يبدل مكانه و لا يغير عاداته .

اشتعلت جذوة الفضول لدرجة أنه قرر أن يقتحم خلوة ذلك العجوز و يشاركه قتل الوقت بطريقته التي لم يجربها من قبل .ذات مساء ذهب مبكرا عن موعده و جلس في منضدة قريبة من منضدة ذلك العجوز التي إعتاد الجلوس عليها و عينه ترقب وصوله . حتى بعد توافد أصدقائه و دعوه ليذبح معهم الوقت بأداة الدومينو الحادة اعتذر متحججا بالصداع على غير عادته .يمر الوقت و الدقائق و ربما الساعات و لم يحضر العجوز في هذه الليلة. توالت الليالي و على يترقب وصوله للمقهى لكنه لم يحضر و الفضول كاد يحرق على من سخونته.بدأ يسأل عمال المقهى و رواده عنه لم يزد أحد شيئا عن ما يعرفه عنه. عاد لذبح الوقت بطريقته المعتادة و بدأت جذوة الفضول في الخمود لكنها لم تنطفئ تماما.احد أصدقاء المقهى نصحه أن لا يشغل باله بهذا العجوز قائلا : من في مثل سنه مرشح أن ينال لقب مرحوم في أي وقت فهو مرحوم محتمل.

في يوم حار كان علي عائد من عمله و الشارع الرئيسي في المدينة المزدحم في عادته كان مزدحم أكثر من أي يوم

لدرجة الاختناق و كان علي يركب سيارة ميكروباص تتلاحم الأجساد فيها و حرارة الجو مع حرارة الأجساد كادت تلهب جسده. اخرج رأسه عله يجد هواء يعينه على الاستمرار حيا أتى الهواء محملا بعادم السيارات لكنه لمح ذلك العجوز و هو يتخطى بين السيارات حاملا لفافة المعتادة من الجرائد و المجلات .هب واقفا من هول المفاجأة ارتمت رأسه بسقف السيارة ، نسى أنه بداخلها، تحركت السيارة دون أن يحدد اتجاه سيره لكنه أيقن أنه مازال حيا يرزق و لم ينل بعد لقب المرحوم مازال حي محقق.

توقع حضوره للمقهى في المساء لكنه لم يحضر. في اليوم التالي مر من نفس الشارع مترجلا بعد خروجه من عمله لكن لم يراه و لم يقابله.

عزم على أن يتفرغ يوم الجمعة من الصباح حتى المساء ليبحث عنه في هذا الشارع المترف كيف يعيش فيه ذلك العجوز ؟ حتى لو أراد ان يستأجر شقة و لا يملكها فإيجارها باهظا.

بالفعل ذهب لصلاة الجمعة في أحد المساجد في نفس الشارع و القريبة من المكان الذي كان يمر منه العجوز. كان يتطلع في أوجه المصليين عله يجده لكن هيهات .

بعد صلاة الجمعة دعا خطيب المسجد الحضور لصلاة الجنازة على أحد قاطني الشارع لكن علي لم يعرف للعجوز اسما ،لا يستطيع أن يحدد إن كان هو أم لا، إلا إذا رأى وجهه.

عندما هب ليصطف في صلاة الجنازة لمح شخصا من الخلف مثل ذلك العجوز بنفس هيئته و يرتدى نفس بدلته . عرف أنه مازال حيا بل حي محقق.

أسرع علي بالخروج من المسجد بعد صلاة الجنازة حتى يراه و هو خارج من المسجد. تحركت الجنازة و فرغ المسجد من الحضور و لم يخرج العجوز بعد . اتجه نحو دكان صغيرا أمام المسجد يشرب زجاجة مياة غازية باردة و لا سيما إن كانت مشبرة و هو متعض لما يحدث له .

احضر صاحب الدكان زجاجة مشبرة من الثلاجة و هو كاد يحدث نفسه. سأله علي :مالك يا عم ؟

رد قائلا: تخيل يا أستاذ إن الراجل المحترم سالم بيه يموت في شقته و محدش يعرف.

---:إزاي؟

--:أولاده سيبينه و مسافرين ، مفيش حد بيسأل عليه خالص . سكان العمارة شموا ريحة صعبة جدا طالعه من الشقة بناعته، كسروا الباب لقوه مرمى على الأرض و الجرايد و المجلات اللي كان يتسلى بيهم مرمية على الأرض حواليه .

هز علي رأسه بأسى قائلا لنفسه : أخيرا نال اللقب، أصبح مرحوم محقق.

*****

بهلوان

كانت خفة ظله ورشاقة حركاته المضحكة عاملا في تخفيف حدة جلسات الحكم. تلازم مع الملك في كل جلساته،تملكه الشعور أنه وزير ليس بهلوانا.

تقدم في العمر ثقلت حركاته ،أتوا بمن هو أرشق منه.استبدل حركات البهلوان بعرائس الماريونت. تلاعب بكل الخيوط حتى أصبح سرا من أسرار الحكم.

*****

عبث الأمواج

لقاء زرقة السماء مع ماء البحر الهادر،أمواج متصارعة كأنه سباق للعدو والوثب العالي جعلا عيونه محدقة وجسده ساكنا على ظهر مركب في عرض البحر حتى أتت أعلى موجة في طياتها عروس البحر تبتسم إغراءا و تنادى على ذلك المهاجر الذي ظل طوال رحلته لا يرى سوى عروس البحر و الأمواج الهادرة.

نزل إلى الميناء فوجدها في انتظاره مرحبة به فهذا عملها في الشركة التي سيعمل بها.

*****

أحبك

يسبح مداعب الأمواج مستمتعا بماء البحر في صيف حار . حوله المصطافون يشاركونه إطفاء حرارة أجسادهم في جو ممتع.

اصطدمت قدمه بمحار، إلتقطه بعفويه فوضعها على أُذنه سمع صوت فتاة عذب

أحبك.....أحبك.

وضعها بجوار مخدعه و مازال الصوت يصاحبه في سمره حتى عاد لينام،كلما غفت عينه تردد صوت المحار في نومه أحبك ..... أحبك.

يستيقظ و يضع المحار على أُذنه يسمع صوته أحبك .....أحبك.

ظل في أرق طول الليل و الصوت يرن في غفوته أو في أذنه.

في الصباح حطم ذلك المحار حتى يعرف ما بداخله فلم يجد شيئا لكن بقى الصوت يتردد في أذنه طيلة حياته .

أحبك .....أحبك.

*****

تيك اواي

اقتنص لحظات من جدول أعماله المتخم ليسد جوعه في أحد مطاعم التيك أواى و مازال البال مشغولا بعمله.

فإذا بصوت أنثوي عذب تستأذنه في الجلوس معه على طاولته لازدحام المكان، أشار برأسه بالموافقة دون أن ينظر لها و فمه مملؤ بالطعام.

عندما فرغ من طعامه هم بالإنصراف ليعود إلى عمله من جديد. ثارت عليه بشده و نهرته بعنف..

اندهش من تصرفها نظر حوله عله يجد أحدا ليلطف هذا الموقف السخيف.

وجد المطعم خاويا تماما.

*****

حروف

بارع في تشكيل الحروف . عرض كلماته لمن يدفع ثمنها.

تاه ضميره بين السطور.ذات يوم سأله طفله عن الحق في صفحاته.

جف الحبر من قلمه. أعاد تشكيل حروفه.

دفع ثمن كلماته دما مشتعلا ليضئ طريق الحق.

*****

أقداح

امتلأت الأقداح كلما فرغت. الليلة راقصة جديدة كم هي ذات أنوثة متوهجة ، مبدعة، متألقة.

حركاتها تثير شهوة مفرجيها. سال اللعاب أذهلت العقول. تمتلئ أكثر الأقداح.

ينظر إليها من سبقوها في الظهور على ذلك المسرح و عيونهم بالحسرة تندمل.

تلقفتها أيدي الرجال، ذبل جسدها، فرغت الأقداح. دق المسرح من جديد.

استعد النادل ليملأ الأقداح من جديد.

*****

شمس و قمر

قضى عمره بجوارها خادم يهوى سيدته. لكنها لم تعامله سوى كخادم أمين. رفض كل منح الحياة ليصبح سيدا، مثلها لمجرد عدم مقدرته على فراقها.فهي شمس نهاره ، قمر ليله.

خدم زوجها من أجل أن يبقى بجوارها الباقي من عمره.مرت السنون شاخت العظام ، رقد على فراش الموت ، مازال القلب ينبض بحبه .دخلت عليه محموله على أعناق أحفادها ،أراد أن يقف لها. وهن الجسد منعه.علت وجهه الشاحب ابتسامه قائلا : آخر العمر، زارتني سيدتي ..

ردت بخجل الصبايا : أنت اليوم الحبيب.

*****

الترمس

غادر المكان تاركا فتاة تبكى و تنعى عشق وأد منذ قليل.عيونها تدمع و هي ترى مراكب النيل تحمل عشاقا ذهبا و إيابا. اقترب منها بائع الترمس بجلبابه الفضفاض يحمل قرطاسا مملؤا

بترمس محدق و على وجهه ابتسامة خجل.مد يده و هي ترتعش فاجأته بشدة قوية أجلسته بجوارها كعاشق بديل

إنبثر الترمس على الأرض تتقاذفه الأقدام.

*****

مرآة

استيقظ مبكرا و عيناه مملؤتان بالنعاس ظلتا مغلقتان . دخل الحمام ووقف أمام مرآة الحمام قاوم النعاس . صعق من المشهد الذي فتح عينه عليه.ظن أنه مازال نائما. فرك عينيه بلا جدوى.

ترجل نحو الحائط مصطدما به حتى يتأكد أنه مستيقظ ، كرر فعلته حتى تألمت عظامه.

عاد للمرآة لم يجد جسده أيضا . صاح على كل من بالمنزل،أسرعوا لنجدته ،لم يروا شيئا غريبا إلا هذه المرآة تراه رأسا بلا جسد.

*****

مراكبي

يجلسان معا بين ضفتي النيل و أنغام أم كلثوم تزيد الجو الرومانسي حرارة.في الطرف الآخر للمركب يقبع المراكبي مترقبا.تتلاقى العيون و تبدأ الأيدي تتلامس و فيرتعد جسد المراهق عندما تحتويه زراعيين سيدة اليأس.تشتاق امرأة اليأس لعشق المراهقة.

هبت من مكانها و أعطت ذلك المراكبي لفة نقود و عادت تلتهم ذلك المراهق.

قذف المراكبي نفسه في النيل عائدا إلى الشط.

*****

التعريف بالكاتب

الاسم: نبهان رمضان عوض

الدولة: مصر

e-mail : صفحة الفيس بوك
nabhannabhan83@gmail.com

العنوان : مصر –المنصورة

المهنة : مشرف مبيعات

السن :48 سنه

كاتب قصص و روايات

- عضو عامل في مختبر سرديان المنصورة

1-حائزة على جائزة الثاني مكرر في شهر يناير2015

من مجلة نجوم الشعر و الأدب الالكترونية

عن قصة (المقصلة)

2- حائزة الجائزة الأولى من منتدى ديوان الأحزان ملتقى الأدباء

شهر مارس 2015

عن قصة (بهلوان)

3- حائزة على جائزة المركز الرابع مكرر من مجلة

نجوم الشعر و الأدب الالكترونية شهر مارس 2015-03-31

عن قصة (حروف)

الأعمال التي نشرت :

تم نشر إحدى القصص في جريدة الأهرام المصرية—مجلة أخبار الأدب المصرية.

تم نشر دراسات نقدية عن الأدب النسوي في مجلة أخبار الأدب.

دراسة عن الأدب الشعبي السردي في جريدة الأهرام المصرية

-مجموعة زهرة الممر البرية قصص قصيرة جدا عن دار كتابات للنشر الاليكتروني... الطبعة الثانية عن مكتبة العبيكان

2 مجموعة (أحبك) قصص قصيرة جدا عن دار كتابات للنشر الاليكتروني

3- أحفاد شهرزاد مجموعة قصصية و دراسة نقدية تشاركيه مع عدة كتاب و مبدعين من الدقهلية(إبراهيم حمزة)

4- دراسات نقدية في مختبر سرديات المنصورة (دراسات نقدية)

*****

فهرس الكتاب
دائما الملك أبيض
المعداوي
الحد الأدنى
كاندى كراش
ضحكات طفولية
أسرة الرجال
أميرة الأميرات
خمسة فضة
منزل السعادة السفلية
ذات ضالة
صياد النساء

نخلة الغريب
بعد فوات الأوان
زينب
حكايات شهريار
رحلة أمواج
صراع الأبواب الموصدة
مرحوم محتمل
بهلوان
عبث الأمواج
أحبك
تيك أواى
حروف

أقداح
الترمس
مرآة
مراكبي
التعريف بالكاتب
فهرس الكتاب

تم بحمد اللّه